الدُّرُّ المَنضُود

في توحِيدِ أهلِ الشهُود

شَرح قَصِيدَة السيّد الرَّوّاس في التّوحيد والتي مطلعُها

كثر الصّنوف وأنت أنتَ الواحد

تأليف الشيخ أبو الكمال عبد الله صابر الدار
قدّس الله سرّه

تشرّف بخدمة الكتاب
أمير خرنوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ومن والاه وسار على سيره واهتدى بهداه، وبعد :فمن أكثر ما اعتنى به السادةُ الرِّفاعِيَّةُ في مناهجِهم وكتبِهم العقيدةَ الإسلاميةَ الحقةَ، والتي ما بَعُدَت عن نهج أهل الحق قيد أُنمُلَة، فترى في كتبهم الكثير من المجالس والقصائد والأبحاث التي تناولت علم التوحيد إما بشكل شامل أو بشكل مجتزأ لمسالة معينة، ومن اهم ما كتب في التوحيد قصيدة للسيد الامام محمد مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس قدس الله سره ونَوَّرَ ضريحه وعَمَّنَا بِرُّه والتي مطلعها: (**كَثُرَ الصُّنُوفُ وانتَ أنتَ الواحد**)، حيث يقول في مقدمتها: "**ولقد قلتُ قولاً ينشر شان معتقد القوم، الذين برأهم الله في عالم قدسه من اللوم، وها هو ينسج زيّاً وينشر طيّاً**" , ثم بعد ان انتهى من ذكرها قال: "**هذه القصيدة التي مَرّت طومار اعتقاد العارفين، وخزانة أطوار المُحِبِّين، وهي في نسق السلوك ثوب القبول المعلم، وقبا الفتح المسهم، وفي مذهب التوحيد إلى إفراد بارئ النسم بذاته وصفاته- إن شاء الله -سُلَّم، وهل يصح السير إلى مفيض الخير إلا بصدق السر وطهارة القلب وشرف المنهج؟ وهل يكون كل ذلك إلا بصحة التوحيد؟ ما شاء الله**

كان." انتهى، من كتاب **"طي السَّجِل"** للمؤلف، هذا وكنتُ قد عثرتُ على مخطوط كتب في بدايته بخط اليد (**كتاب تأليف وخط أبي الهدى**) حصلت عليه من مكتبة جامعة برينستون برقم (٤٠٨٩) كتبت بخط فارسي وجاءت في ١٢٠صفحة وموضوع هذه المخطوطة شرح القصيدة المذكورة آنفاً، ولدى البحث عن اسم المؤلف رأيت في مقدمة الكتاب هذه العبارة (**فأَمَرَ وأَمرُهُ مُحَتّم الامتثال لا نزاع في وجوبه ولا جدال، وارثه صابر الدار وحامل ماله من الاسرار، أن أسرح طرف قلمي في ذلك الميدان، مستمداً من غوث الزمان، ملاحظاً بعينه في الذهول والعيان، مداً من قلبه بالرقائق والحقائق، مثبتاً بالهمة الفعالة والنفس الصادق، فأخذ القلم يجول ويتطاول ويصول والمدد من الغوث الرفاعي والفيض من فاطمة الزهراء البتول**)، وكان قد مَرَّ معي في كتاب للمؤلف اسمه **"بوارق الحقائق"** قال في الصفحة (٤٤٦) منه: "**وانقضت ستة أشهر لي فارتفعت همتي اشتغالاً بربي، وانمحاقاً عن صفاتي بصفاته، وانطماساً عن كونيتي بمراقبته، وانعداماً عن وجودي بسلطانه، فخلعت ثوب التصرف ونزعت بردة الاشتغال به فراراً إلى الله تعالى، فصادف ذلك قبولاً حسناً، فأفرغت عني بإلباسٍ مني إلى الصاحب الأول، السيد الشريف الكامل، الأحمدي المشرب والخرقة أبي الكمال عبد الله صابر الدار،**

وخلعت في مرتبة المحاذاة بخلعة الغوثية أربعة في العصر" فتبين من النقل الأول والثاني أن شارح هذه القصيدة هو من حمل الغوثية عن السيد الرواس قدس الله سرهما، وكاتب هذا الشرح هو السيد محمد أبو الهدى الصيادي قدس الله سره.

وقد رأيت هذا الشرح قد زاد القصيدة جمالاً وبهاءً ونوراً، وأفاضَ عليها طابعاً أدبياً رشيقاً بديعاً، فأحببت أن يطَّلِعَ على هذه المعاني الرائقة والتحقيقات الفائقة كل المسلمين خاصَّةً منهم أتباع منهج التصوف وبالخاصة من ينتسبون للسيد الرواس وللطريق الرفاعي، فقمت بسبكه حسب قواعد الخط الحديثة، وخَرَّجتُ آياته وأحاديثه، ورَقَّمتُ أبياته وصنعت لها تقاسيم وعناوين تسهل تناول الكتاب وتحدد أجزاءه وأقسامه وشرحت بعض العبارات بأسلوب موجز، ولا بد من التنبيه على أن بعض الأبيات الواردة في الشرح المذكور غير موزونة على أي من بحور الشعر وإنما هي نوع من السجع ، ولكن أحببت أن توافق المخطوط بشكلها الشعري المؤلف من شطرين ، أسأل الله عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه وأن يقبلنا على ما فينا ببركة خدمة هذا التراث الطاهر وبأنظار أهل هذه السلسلة الرفاعية المباركة المنيرة .والحمد لله رب العالمين.

وهذه القصيدة

الفصل الأول في توحيد الذات والصفات ومعرفتها وأدلة ذلك

١- كَثُرَ الصُّنُوفُ وأَنْتَ أَنْتَ الوَاحِدُ لِلْكُلِّ فيكَ مَخَايِلٌ ومَشَاهِدُ

٢- وتَخَالفَتْ آرَاؤهُمْ وَتَبَايَنَتْ مِنْهُمْ هُنَاكَ مَقَاصِدٌ وَعَقَائِدُ

٣- مَعْنَىً يَرُوقُ لِعَيْنِ صَاحِبِ عِبرْةٍ ويَحِيرُ فِيهِ الْأَلْمَعِيُّ النَّاقِدُ

٤- وَلَقَدْ طَوَيْتَ بِكُلِّ مَنْشُورٍ بَدا سِرّاً على التَّوْحِيدِ فِيهِ شاهِدُ

٥- هَذَا مِنَ الْبُرْجِ الْمُرَفْرَفِ هَابِطٌ إِذْ ذَا بِمِعْراجِ التَّدانِي صاعِدُ

٦- شَيءٌ عَنِ الطَّيِّ الْمُطَلْسَمِ صادِرٌ مُذْ جَاءَ مِنْ نَشْرِ الْبُرُوزِ الْوَارِدُ

٧- آياتُكَ الْكُبْرَى وإِنَّكَ فَاعِلٌ مَا شِئْتَ فَلْيَقِفِ الجَهُولُ الْجَاحِدُ

٨- لَكَ فِي الْعُقُولِ جَلالَةٌ وَمَهَابَةٌ وَعَلَى الْقُلُوبِ حَواجِزٌ وَمَراصِدُ

٩- وَبِنَظْمِ ذَرَّاتِ الْوُجُودِ طَلاسِمٌ مِنْهَا بِأَعْنَاقِ الْجَمِيعِ قَلائِدُ

١٠- يَا حَاضِراً لِكَمَالِهِ يَا غَائِباً لِجَلالِهِ عَنْ غَيْرِهِ يَا شَاهِدُ

١١- كُلٌّ يُقَلِّبُهُ بِمَهْدِ حُظُوظِهِ مِنْكَ الْمُقِيمُ الْمُحْضُ وَهُوَ الْقاعِدُ

١٢- يَتَصَرَّفُ السِّرُّ القَدِيمُ بِأَمْرِهِ وَتَراهُ يُعْمِلُ زَعْمَهُ وَيُجَاهِدُ

الفصل الثاني في خلق أفعال العباد

١٣- عَاصٍ يُصَدُّ وَطَائِعٌ بِيَدِ الرِّضَا غَيْباً يُمَدُّ وَلِلْجمِيعِ مَوائِدُ

١٤- لَا يَعْرِفُ الْكَسْلانُ مَا أَضنَاهُ مِنْ كَسَلٍ وَلَا يَدْرِي النَّشاطَ الْعَابِدُ

١٥- رَمْزٌ يُنَمْنِمُ حَيْرَةً بِنَسِيجِهَا تَاهَ الْحَكِيمُ أَجَلْ وَضَلَّ الرَّاشِدُ

١٦- هذا حَرِيصٌ وَهُوَ يَعْلَمُ تَرْكَ مَا يَقْنِي وَهَذا عَنْ شُهُودٍ زَاهِدُ

١٧- فَتَبَايَنَ الْحُكْمانِ حِينَ تَوافَقَ الْـ ـنَظَرَانِ وَالْفَعَّالُ فِيهَا وَاحِدُ

١٨- أَهْمَتَ نَفْساً فِي الشُّؤونِ فُجُورَهَا وَلِتِلْكَ تَقْواهَا وَغَيْرُكَ فَاقِدُ

١٩- والْحَادِثاتُ جَمِيعُهَا زَرْعٌ وَإِنْـ ـنَكَ أَنْتَ زَارِعُهَا وَأَنْتَ الحَاصِدُ

٢٠- يَا مُوجِداً نُسِقَ الوُجُودُ بِبَابِهِ والكُلُّ مِنْهُ يَدَ الْإِعَانَةِ وَاجِدُ

٢١- فِي مَهْدِ سَاحَةِ حُكْم حِكْمَتُكَ انْطَوَى مُتَنَبِّهٌ بِالْكَائِنَاتِ وَراقِدُ

٢٢- هَذَا لِسُلْطَانِ اقْتِدَارِكَ رَاكِعٌ خَوْفاً وَهذا لِلسَّكينَةِ سَاجِدُ

٢٣- والْغِرُّ عَنْ شُكْرِ امْتِنانِكَ غَافِلٌ وَأَخُو الْقَبُولِ عَلَى عَطَائِكَ حَامِدُ

الفصل الثالث العجز عن درك الإدراك إدراك

٢٤- وَلِذَاكَ عَنْ صَدِّ عَذابٌ دَائِمٌ ولِذَاكَ عَنْ مَدَدٍ نَعِيمٌ خَالِدُ

٢٥- حِكَمٌ تَحَارُ لَهَا العُقُولُ يُفَتُّ مِنْ قَهّارِ وَارِدِهَا الثَّقِيل جَلامِدُ

٢٦- سَرْبَلْتَهَا بِإِرَادَةٍ جُزْئِيَّةٍ حَتَّى يُرَدَّ بِهَا إِلَيْكَ الشَّارِدُ

٢٧- فَلِبَأْسِ طَوْلِكَ بِالْجَلَالِ زَلَازِلٌ وَلِفَيْضِ بِرِّكَ بِالجَمِيلِ عَوائِدُ

٢٨- عَجْزُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَ قُدْسِكَ ظَاهِرُ وَخِلافُ هَذَا الشَّرْطِ بَيْعٌ فَاسِدُ

٢٩- إِنْ كَانَ نُطْقٌ أَنْتَ فَاتِقُ رَتْقِهِ أَوْ كَانَ سَيْرٌ أَنْتَ فِيهِ مُسَاعِدُ

٣٠- لَوْلَاكَ مَا احْتَرَكَ اللِّسانُ بِكِنِّهِ مِنْ بارِزٍ أَوْ زَنْدُهُ وَالسّاعِدُ

٣١- أَبَداً إِلَيْكَ رَعيلُ خَلْقِكَ رَاجِعُ وَلِقَهْرِ حُكْمِكَ كُلُّ شَيْءٍ عَائِدُ

٣٢- تَتَزَاحَمُ الرُّكْبَانُ تَدْفَعُ بَعْضَهَا وَلَدٌ إِلَيْكَ عَلَى الطَّرِيقِ وَوَالِدُ

٣٣- فَرَسُ الشُّجاعِ وَذَاتُهُ وَحُسامُهُ وَخِصَامُهُ نَحْوَ الْفَنَاءِ تُطَارِدُ

٣٤- ذَهَبَ الْمُنَجِّمُ مَا حَمَاهُ مِنَ الْفَنَا مَرِّيخُهُ كَحِسَابِهِ وَعُطَارِدُ

الفصل الرابع حكمة الله في الخلق

٣٥- الفِعْلُ فِعْلُكَ وَالجَهولُ مَعَ الهَوى وَالرَّأي يَحْكُمُ فيهِما وَيُعَانِدُ

٣٦- أَرْضٌ بِهَا صَارَ الدِّيَارُ بَلاقِعاً وَقْتاً وَقَبْلُ بِهَا الجُنُودُ حَوَاشِدُ

٣٧- وَبِقِيعَةٍ مِنْهَا المَنَافِعُ قَدْ جَرَتْ حِيناً وآخِرُ مَا احْتَوَتْهُ مَفَاسِدُ

٣٨- وَرَقِيقُ وَشْيٍ بِيعَ يَوْماً غَالِياً وبُعَيْدَ حِينٍ فَهُوَ بَخْسٌ كاسِدُ

٣٩- واللَّيْلُ آناً والنَّهَارُ وَراءَه هَذَا لِذَاكَ مُخَالِفٌ وَمُضَادِدُ

٤٠- لَكَ فِي اخْتِلافِ الكُلِّ آياتٌ لَها ضِمْنَ الشُّؤُونِ مَصَادِرٌ وَمَوارِدُ

٤١- عَنْ سِرِّ حُكْمِكَ قَدْ تَفَرَّعَ كُلُّ ذَا وَعَلَيْهِ جَيْشٌ مِنْ جَلَالِكَ عَاقِدُ

٤٢- ضُرِبَتْ سُرَادِقُ سِتْرِكَ الضَّافِي عَلَى هَذا فَحَارَ أَقَارِبٌ وَأَباعِدُ

الفصل الخامس الحقيقة المحمدية

٤٣- مَا فَكَّ طِلْسِمَ سِرِّ حُكْمِكَ فِي الْوَرَى إِلَّا مُحَمَّدُكَ الشَّكُورُ الحَامِدُ

٤٤- رَفِعَ الشِّراعَ عَنِ الشُّمُوسِ فَأَشْرَقَتْ وَتَبَدَّتِ الْأَلْوَانُ فَهِيَ فَرائِدُ

٤٥- لَهِجَتْ بِهَا شُعَراءُ حُبْكَ فَانْجَلى عَنْهُمْ هُنَاكَ نَشَائِدٌ وَقَصَائِدُ

٤٦- هَامُوا بِسَيِّدِ حِزْبِ مَنْ أَرْسَلْتَهُمْ فَالْكُلُّ مِنْهُمْ هائِمٌ مُتَواجِدُ

٤٧- كُلٌّ هُوَ الْغُصْنُ الرَّطِيبُ بِحُبِّ مَن يَهْوَى عَلَى هَبِّ النَّسائِمِ مائِدُ

٤٨- بَشَرٌ تَأَلَّقَ فِي سَمواتِ الْعُلى شَمْسَاً لَدَيْهَا الْمُرْسَلُونَ فَرَاقِدُ

٤٩- جَحِدَتْهُ أَلْبابٌ طَمَتْهَا ضِلَّةٌ وأُولُو الضَّلالَةِ لِلْكَمالِ جَواحِدُ

٥٠- وَتَأَبَّطُوا شَرًّا عَنِ الحَسَدِ الَّذِي فِيهِمْ وَمَا الشِّرِّيرُ إِلَّا الحَاسِدُ

٥١- شَقَّ القُلُوبَ الجَدْوَلَانِ فَواحِدٌ جَارٍ وآخَرُ لِلْقَطِيعَةِ جامِدُ

٥٢- سِرٌّ بِأَنْمَاطِ الْغُيُوبِ مُحَتَّمٌ مَرْسُومُهُ وَالحَالُ مَعْنىً شَاهِدُ

الفصل السادس ابتهال ودعاء

٥٣- يَارَبِّ أَيِّدْنَا بِحُبِّ مُحَمَّدٍ طهَ الَّذِي هُوَ لِلأَحِبَّةِ قَائِدُ

٥٤- والْطُفْ وَنَبِّهْ بِالحَنَانِ قُلُوبَنَا فَالحَظُّ فِي صُفَفِ الْعلائِقِ رَاقِدُ

٥٥- صَحِّحْ بِحُكْمِ الإِتِّبَاعِ لِعَبْدِكَ الْـ ـهَادِي مَنَاهِجَنَا فَفَضْلُكَ زَائِدُ

٥٦- مَوْلَايَ إِنِّي قَدْ قَصَدْتُكَ دَاعِياً مَا خَابَ مِنْكَ جَمِيلُ ظَنٍّ قَاصِدُ

الفصل السابع التحدث بالنعمة

٥٧- أَفْرَدْتَنِي فِي الْعَصْرِ عَنْ كَرَمٍ فَهَا قَلْبِي لِغَيْرِكَ إِيْ وَحَقِّكَ زَاهِدُ

٥٨- وَرَفَعْتَ لِي قَدْرِي بِحُبِّ نَبِيِّكَ الْـ ـبَرِّ الرَّحِيمِ وَمِنْهُ عِنْدِي عَاضِدُ

٥٩- تَجْرِي عَلَيَّ مَدىً أَيَادِي بِرِّهِ وَلَدَيَّ مِنْهُ فَوَائِدٌ وَعَوَائِدُ

٦٠- لَكَ فِي طَرِيقِ ابْنِ الْعَوَاتِكِ وِاحِدٌ أَبَداً وَإِنِّي الْيَوْمَ ذَاكَ الْوَاحِدُ

مقدمة الشارح رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك، وكيف يحمدك الحامدون؟ وأشكرك، وما كان ليقوم بواجب شكرك الشاكرون، وأُسَبِّحُك، ومن أين تصل لك بأفكارها المتفكرون؟ سبحانك وسعتَ الخلق كلَّهم برحمتك، وأسبغت عليهم جلائل نعمتك، وغمرتهم ببحار فيض فضلك ومِنَّتك، وبعثتَ فيهم نبيَّك المصطفى ورسولَك المجتبى مختارَك من خلقك أجمعين، وممتازَك على سائر الأنبياء والمرسلين، عليهم صلوات رب العالمين، فهَدَى وارَشَد ووَعَدَ وأَوعَد، وقام بشيراً ونذيراً وطلع للعالمين سراجاً منيراً، يهتدي به الضالون، ويرشد به الحائرون، ويقرب به المبعدون، ويعز به الأذلون، ويغنى به المفتقرون، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه الهادين المهديين أئمة السنة والدين، وبعد:

فهذه حروف عاليات، أو كلمات تامَّات، بل آيات بينات، نفثها لسان اليراع وراع، وبَثَّ فيها من كنائن الحكم ما شاء الله فذاع، أظهرت مضمراً، وأضمرت مظهراً، وفاحت إن شاء الله لمَشَامِّ القلوب مسكاً وعنبراً، ترتاح لها الأرواحُ ولا ارتياح القلوب بنكهة التفاح، وتضيء في الفهوم كالمصباح، بل وتُخجِلُ بشموسِ شموس بيانها وأقمارِ حندس تِبيانها غرةَ وجه الصباح،

أبرَزَها القلم وقد رقم، مستمداً من ربه الأكرم، الذي علم علم الإنسان ما لم يعلم، فجاءت -إن شاء الله- على ما يرام، مرفوعة المقام، مسموعة الكلام، تزدهي عجباً، وتخجل أدباً، وتعثر في أذيالها، وتعتذر لأقيالها[1] عن أقوالها، بلسان حالها فعَلَّها أن تُقال عثراتها، وتُمحى سيئاتها، وتصادف قبولاً فتنشق قبولاً، وتجد عطفاً وتنظر حناناً، فتمنح أماناً وتغمر إحساناً، وها هي تقول وبسم الله، وتجوب في فيافي البيان وتجول ولا حول إلا بالله.

لِيُعلم أن الحق تعالى خلق الإنسان وميَّزه في الاكوان فجعله خزانة معرفته ومظهر قدرته وسر حكمته، فهرست موجوداته وباهر لوامع آياته، هو القائم بأوامره ونواهيه، والمطلع على بادي هذا الأمر وخافيه، والحامل لسره الذي أُضمر فيه، باهى به الملائكة، ورفع له في دواوين المجد أرائكه، فأقسم أنه كرَّمه تكريماً، واعطاه مقاماً عظيماً، خلقه في أحسن تقويم، وخاطبه بقوله: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾[2]، رفعه إلى أعلى عليين، وسخر له جميع العالَمين، العالم كله لأجله قائم، وهو عليه حاكم، فهو ما بين قائم لخدمته، أو واقف لحرمته، كل هذه المنزلة التي خُصَّها، والجلالة التي من ربه اختصها، بما أفيض على قلبه من ربه في مشاهد التجلي ومنازل التدلي، التي برقت بها بوارق المحبة وهطلت بها

---

[1] الأقيال جمع قيل وهو الملك.

[2] الانفطار٦

سحائب المنة، وجادت معها أيادي الكرم بجلائل النعم، وتواصلت بها حبال الأنس وتسلسلت وترادفت بها جواذب الفضل وتراسلت، فملأه بها جلالاً وغمره من فيض فضله نوالاً، وقال :الأمر في الخليقة إليك والعين مني ملقاة عليك، لا تخاف حزناً ولا تخشى بؤساً ما دمت قائماً على الأمر المنزل داعياً للخطاب الموحى، وذلك أنه أرسل له في نفسه رسول الابتصار، وقال له :إن له عليَّ ألا أعاتب أحداً ما لم يأخذ منك يداً ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[1] وأنت عليك أن تفصح الخطاب وتكشف الحجاب وتظهر الأمر وتكشف السر، وتعرف الكل بالواحد والاثنين، وتفتح لهم القلب والعين، حتى يعرفوا المبتدأ من الخبر في جمل العين والأثر، ويلوح لهم الأول من المنتهى وتجلى لهم الآخرة من الأولى، وأين الطريق؟ وكيف العمل؟ وإلام الغاية فيمن وصل؟ فيشمل نداء كرمنا القريب والبعيد والمقبول والطريد، وتفيض فيوض لطفنا على جميع العبيد، فلا يبقى من لم يُدعَ إلى بابنا، والنزولِ على جنابنا، ليغمرَ منا بالأيادي في كل نادي، وتفيض آلاؤنا عليه وتتواصل سحائب رحمتنا إليه، فمن أجاب دعوتنا ولبَّى مائدتنا، فالخِلَعُ عليه تُخلع، والخيرات إليه تجمع، ومن أعرض عنا وُكِلَ و نفسه فهلك، وحار به الأمر فارتبك، وأدركه الفقر من

[1] الإسراء/١٥

نفسه، فمات في حاجة فَلسه، فهو وصفه في ذاته، وشأنه في كل حالاته لا يفارقه وارد خاطر، وحيث يخشى فهو به عاثر، فضلَّ الطريق السوا، ووقع في كل عنا، ولا يؤسف عليه ولا يبكى، هو الظالم لنفسه، والجالب بظِلفه لحتفه في رمسه، سعى إلى حتفه بظلفه[1] هكذا صدر المنشور، وبلغ المأمور، وتلقى كل الأمر وشاع عند عمر وبكر، ولم يبق من مجال بعدُ للمحال، لان كلاً عرف وفوق معرفته اعترف، فارتفع الخلاف وشهدت الأخلاف على الأسلاف، والعدل قضى دينه، والباطل أدحض ومينَه، وبعد فالمخلوق العجيب ما كان إلا على الشأن الغريب، خص بهذه المنزلة وجيهاً، وأرقي في منازل السعادة إلى أعلى مراقيها، وجمع فيه وفي قبضتيه الكيان، وأُهِّلَ لمنازلة منازل العيان، وفُتح من قلبه بابٌ إلى الملكوت، يدخل منه إلى طريق الرهبوت، ويوصل به إلى عرش الرغبوت، وهو العرش الأدنى، والمنزل الأسمى، فأبى به هواه إلا أن يهبط إلى السفل، ويربط بسلاسل السوى في إصطبل الفنا ويُغَلّ فأخذ يتبع ضلالته ويقتفي غَوايته، ويتبع وسواسه فيطفئ نبراسه، ويأخذ الشمال فيترك اليمين، ويميل عن الحق فيمين، جحد ربه ونسي غبه[2]، وألقى على ظهره غربه، وكأنه حلف ليأخذن كل رديئة مذهباً، وليعبدن إلهاً يسميه فضةً وذهباً ولا

[1] – سعي إلي حتفه بنفسه

[2] غب الشيء عاقبته

يعي لضعيف فيعينه، ولا لوعدٍ إلا فيمينه، ولا لقلب إلا فيكسره، ولا لسائل إلا فينهره، ولا لرذيلة إلا فيأتيها، ولا لبدعة إلا فيواليها، ولا لشبهة إلا فيعيها، لا يعرف حقاً ولا يقول فصلاً، ولا يقر فضلاً ولا يحكم عدلاً، والحسد ليملأنَّ قلبَه وليسكرنَّ بخمره لُبَّه، ولا يرضى بقسمة ولا يقف عند نهمة، وليتجاوزن كل حَدٍّ حُدَّ، ولا يقف عن حد من السيف أَحدُّ، ولو وقع في الهاوية وكانت عليه القاضية، كل ذلك بعدما أشهد الملأ الأعلى وأجاب ببلى، وكأنه يقول بلسان غيبه :بلا بلا، والحق أقول :لقد عرف والأمر فوق ما وصف، فإن الأمر صعب والخطب ذلك الخطب، هو مأسور نفسه مشوش في حدسه، مغيَّب في الأماني، متوه في المباني، مذهل عن المعاني، مقاد إلى الأماني، مقاد إلى الشهوات، مقاد إلى الغايات، مقاد ومقاد قد تجاذبته الأضداد، وكثرت في قلبه الأنداد، ففارق الحق واتسع عليه الخرق، وحرم الصدق، فأين الثبات؟ وأين الثبات، والنيات لا الأعمال، والأعمال لا النيات؟، فهذا ربه الذي خلقه، وفي مشيمة أمه رزقه، قال :وعزتي وجلالي لأدركنَّه بنوالي ولأرسلنَّ له رسلًا كرامًا وأنبياء عظامًا أتحفهم مني صلاةً وسلاماً، يهدون ويذكِّرون ويرهِّبون ويبشرون، يدلون عليّ ويقودون الناس إليّ، أخلاقهم كريمة وقلوبهم رحيمة، حريصون على إيمانهم، شديدون في إرشادهم، لا يسأمون ولا يملون ولا يكلون ولا

يعنون، مخلوقة من الرحمة قلوبهم، منورة بأنوار المحبة غيوبهم، التواضع شعارهم، والمكارم دثارهم، تهدى بهم الأُمم إلى الصراط الأَمم، تقام بهم الحدود، وتؤيد بهم الشرائع، ويكشف بهم دجى الجهالة ويرفع بهم لواء الحق وينصب بهم ميزان العدل، وتهطل بهم سحائب الرحمة، أطباء للقلوب ذكرى للأنفس حياة للأرواح، أبعثهم في العصور واحداً بعد واحد، يهدون الضالَّ ويرجعون بالشارد، يخاطبون كل أمة بلسانهم الذي يعرفون فيسترشدون ويرشدون، ينهونهم عن المناكر التي أتوها، ويأمرونهم بالأوامر التي تركوها، حتى يأخذوا بهم طريقاً عدلاً، لا عوجاً ولا أمتاً، وبذلك اختلفت الشرائع وتباينت الأحكام، فكان أولهم آدم وخاتمهم الخاتم صلى الله عليه وسلم، حبيب الله وصَفِيُّه في خلقه رسوله ومُجتباه في العالمين، ومختاره في الأنبياء والمرسلين، صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والكرم والجود نبي الأنبياء ورسول الرسل، جاء من عند الله تعالى يرفل بثياب العز والإقبال، والعظمة والإجلال، ومعه شريعة غَرَّاء زهراء بيضاء لألاء، وله سُنة سنية، وطريقة مرضية، تفتخر باتباعها الأنبياء، وتعتكف على أبوابها الأصفياء، وتتمرغ على عتباتها الأولياء تمطر بالأخذ بها الرحمات، وتتواصل بها العنايات من خالقنا خالق الأرض والسماوات، ومدد متراسل ونظر شامل، يشمل الأواخر

والأوائل، يجعل الشقي سعيداً بعدما كان طريداً، يحل العُقَد ويفرج الكُرَب ويقضي الحوائج وينيل الرغائب، يقيل العاثر ويأخذ بيده، ويهدي الضال بعد غَيه، فبشر وأنذر ووعظ فنصح وهدى ودَلَّ، وأعان الضعيف ورحم المُقِلّ، عمر القلوب بعد خرابها والدين بعد اندثاره، ونشر أنوار الهدى في العالم فأصبح مشرقاً منيراً وقد كان ليلاً عتيماً، وفاض مدده على المشرقين فانجلى به عن العيون الغيون، وأفلح من صدق في حبه وتمسك بطريقته واتبع لَسنته، واهتدى بهديه فإنه هو الرحمة الواسعة والمنة الشاملة والنعمة السابغة، لا خير إلا منه ولا عطاء إلا بيديه ولا واسطة إلا هو ولا وسيلة إلا التمسك به، فهو باب الله وكل باب سواه مقفل، وهو ممد الظواهر والبواطن في سائر المواطن، أَمَرَّ أنفاس حياته في طاعة ربه ومرضاته، للعالَم سراجاً منيراً، وللعالمين بشيراً ونذيراً، ولما أن قضى المدة التي قضاها وعرج به إلى المُقامة التي املها وارتضاها، أورث القلوب حزناً كبيراً، وأبكى المؤمنين كبيراً وصغيراً، ومع هذا فكان كرامةً أكرمها من ربه، وخصيصة اختص بها في مشاهد قربه، انتقاله الكريم توأم حياته المباركة الزكية صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، كما قال في كلمته الطيبة: ((**حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فإن**

وجدت خيراً حمدت الله، وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم))[1] فشفَّ باطنه الكريم وهو الرؤوف الرحيم ولمع ساطع ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[2] وبرق بارق محمد خاتم النبيين، وأخذ نور الرسالة يلوح اللوحة الأولى ويبرق تلك البارقة الغراء التي لمع بها على جباه الأنبياء من قبل ولذلك الرسول الكريم في ذلك الفضل، فإن النور نوره والظهور ظهوره والنوبة نوبته وهم عنه نواب كما سبق من قبل في أم الكتاب، بيد ان اللواء لواء وراثة كاملة وولاية ساطعة، وحب أزلي وسر محمدي، وعزم نبوي وشرع مصطفوي، ومثانية صديقية وحكمة فاروقية وحقيقة علوية، تلمع وتبرق وتنبع وتدفق، لها في السماء جلجلة وعلى الأرض جلجلة، لها في العرش جلجلة وفي الفرش جلجلة، جلجلة وأي جلجلة[3]؟ !معها صلصلة وأي صلصلة[4]؟ !حملتها فاطمة فكانت خاتمة، وتلقاها الصديق فكان صادقاً، وحملها الفاروق فكان فارقاً، وأخذها ذو النورين فكان نوراً، وحملها علي فكان علياً ولله ولياً وفي الملأ الأعلى صفياً، وما زالت تظهر وتبطن وتبرز وتكمن من وارث لوارث ومن إمام

---

[1] هو حديث ينعت بـ (حديث عرض الأعمال) قال عنه الحافظ الهيثمى فى مجمع الفوائد: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ العراقى: إسناده جيد، وقال الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبري: أخرجه البزار بسند صحيح من حديث ابن مسعود.

[2] الأنبياء/١٠٧.

[3] الجلجلة: جلجلة الرعد: صوت الرعد.

[4] الصلصلة: دوى الرعد، وصلصلة الأجراس ترجيع دقاتها.

لإمام، تستنزل به البركات وتستمطر منه العنايات ويستضيء منه الظلام، يا لها من طالعة طلعت فطلعت خارقة !ولامعة لمعت فلمعت بارقة !بزغت جلالاً وعمت نوالاً، وفاضت نعم وشملت كرم، ورفعت همة ووسعت رحمة، وبدت قوة فَعالة ولاحت عزمة صَوَّالة، وتليت آية باهرة وبرزت معجزة ظاهرة، وبطنت ظهوراً وظهرت بطوناً، وأفردت مشهداً وجمعت شؤوناً، فكانت كلمةً تامةً حاطت معاني آيات زمانها وشرعت قائمة قلوب الغيوب في غيوب القلوب لبرهانها،

الله أكبر سر الله قد ظهرا من حضرة طُلْسِمَتْ قدماً معانيها
الله أبرزها من علمه أزلاً أنوار غيب تجلت في مبانيها

فكانت لسان القرآن في الزمان ولسان الزمان في القرآن، جاءت بالبيان وأوضحت التبيان، وفصلت البرهان وأنارت الأكوان، وطفت ثائرة الطغيان، وصفدت الشيطان، وأقامت الحق عيان، ووطدت قواعد الإيمان، وقامت بالعهود والأيمان، أقامت دعائم الهدى وقصمت من اعتدى، خيراً موصولاً ولكن لأهل الاهتدا، وسيفاً مسلولاً ولكن على أهل الاعتدا، سبحان الله !يا لخافق خفق وعلى الخافقين بارقه، وبارق برق وفي المشرقين شارقه، فصدح صادحه، وصاح صائحه، وسجع اديبه وجهر خطيبه، وهاجت به بلابل،

وغنت بدوحه بلابل، وقام له قائم، وهام به هائم، فسمع سره في الشعوب والقبائل، قام وهو تحت خيمة الخفاء في الظهور والانجلاء، فسكت الساكت وقال القائل، وشهدت باسمه معاهد وشهد لأجله مشاهد، فكان طلسماً لا يُقرا، وكنزاً لا يُدرى، وسراً لا يكشف، وغيباً لا يعرف، لغزاً لا يحل، ورمزاً عن الغطاء يجل، نوراً حجابه من النور، وظهوراً غطاؤه من الظهور، فأنى يشهده أهل الحجاب وحارت به الألباب، بيد أنه كما قال وبميادين التحدث بالنعمة عن نفسه صال وجال :إنسان الإنسان، وعبد الديان، الناسك وناسك المناسك، وسالك طريق ابن العواتك، ولي إمامه الكتاب، وحاله الاتباع والآداب، وحبه في قلوب الأولياء والأحباب، إمام إمام إمام، إمام عليه من المولى السلام، أدخل من باب الكرم إلى سرادق العظمة، وأقيم على منبر التوحيد والبس لباس التمجيد، وقيل له :قم في عالم القلوب من وراء ستور الغيوب، وأَملِ على الأرواح من مواهب الفتاح، ما تعرج به إلى الملأ الأعلى، وتصعد منه إلى شجرة المنتهى، وهذا لك قوة البيان وخزائن العرفان ومعاني القرآن، هذا لك المنثور والمنظوم فاجلُ به الصدأ وداوِ به الكلوم، عوارف المعارف عليك هاطلة، وجداولها في واسع قلبك سائلة، ومنها إلى قلوب الصادقين وألسنة الموحدين وعقول العارفين وأسرار المهيمين ونفوس

المريدين، فاسق بها ما غرسته أيدينا منذ عالم الأزل في أراضي الاختصاص، من بذر التوحيد حتى تطلع بنجم الصدق وشجر العبودة، فيأتي بغوث الرضا وثمر المحبة، وتطيب نفوس مخلوقاتنا بنا، فقم على قدم الامتثال لذي العظمة والجلال، وهو تحت لباس الخفا مؤيداً بالتوفيق، مسلحاً بسيف العناية، مدرعاً بدرع اللطف، فما زال به يهمهم ويدمدم حتى يعمر القلوب وهو تحت الغطاء، لا يعرف من أين تلك المواهب وهذا العطاء؟ كلماته جوامع الكلم لمن فهم، وآياته الآيات البينات لأهل العنايات، تحت الكلمة منها معانٍ يضيق عنها كثير من المباني، يليق بها التبيان ويبتهج منها البيان، وكان من اعظم آياته واوضح بيناته وأرفع كلماته، الخطاب الصادر من المقام الاعلى والحال الأسنى الذي هو من خصائص المحمديين واختصاصات الأحمديين، ليس لموسى المقام فيه مقام، ولا لأهل الكلام عنه كلام، بل هو للحقائق الكاملة والرقائق المشرقة، من رجال المحمديين وصناديد الأحمديين رضي الله عنهم

كَثُرَ الصُّنُوفُ وأَنْتَ أَنْتَ الوَاحِدُ لِلْكُلِّ فيكَ مَخَايِلٌ ومَشَاهِدُ

إلى آخر ما قذف به لسان بيانه من بحر عرفانه، إلى سواحل الأسماع، فالتقطت بدراريه أيدي القلوب، ومشت في ظلمات الغيوب، تستضيء بما لها من الشعاع، فأمر وأمره محتم الامتثال لا نزاع في وجوبه ولا جدال وارثَه

(**صابر الدار**)[1] وحامل ماله من الأسرار ان أسرح طرف قلمي في ذلك الميدان، مستمداً من غوث الزمان، ملاحظاً بعينه في الذهول والعيان، مُمَّداً من قلبه بالرقائق والحقائق، مثبتاً بالهمة الفعالة والنفس الصادق.، فأخذ القلم يجول ويتطاول ويصول، والمدد من الغوث الرفاعي والفيض من فاطمة الزهراء البتول، قال :

الفصل الأول فى توحيد الذات والصفات ومعرفتها وأدلة ذلك

١- كَثُرَ الصُّنُوفُ وأَنْتَ أنْتَ الوَاحِدُ لِلْكُلِّ فيكَ مَخَايِلٌ ومَشَاهِدُ

الحق سبحانه وتعالى وهو المتوحِّد في جلاله، والمتفرد في عَظَمَة كماله، له الوجود المطلق من كل الوجوه، والكامل من جميع الاعتبارات، والمتفرد من جميع الشؤون، له الأبدية المطلقة بلا بداية والأزلية المطلقة بلا نهاية، والاستغناء المطلق الذي لا تشوبه الحاجة والافتقار، ولا تصيبه غوائل الاضطرار، وهو في هذا كله له التعالي المطلق، فلا تصل إليه الأفكار، ولا تحيط به العقول، ولا تتطاير إليه الأوهام ولا تسبح في بحار عظمته صور الخيالات، فالكل عنه في عَمَاءٍ بَحت، أرفع من أن يوصَلَ إليه بشعاع كما يوصل بالأقدام

[1] صابر الدار هو من حُمِّلِ لواء الغوثية بعد السيد الرواس وكان من مريديه قدس الله سرهما وعمنا ببركتهما، قال السيد الرواس فى البوارق عند ذكره: "الصاحب الأول، السعيد الشريف الكامل، الأحمدى المشرب والخرقة، أبى الكمال، عبد الله، صابر الدار،...." ولعله رمز لشخص معين لم يذكر اسمه الصريح لحكمة هو يعلمها.

إلى الجهات والبقاع، كل ما توهمه المتوهمون فهو فوق أوهامهم، وكل ما فهمه المتفهمون فهو أرفع من أفهامهم، فهو من هذا الشأن الأكمل الغيب المنزه، وهو المتفرد في هذا بأنه ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾[1]، آمنت به القلوب وصدَّقت به وهو غيب الغيوب، فهي فيه صماء لا تسمع بكماء لا تتكلم عمياء لا تبصر تائهة لا تعقل، مدهوشة تائهة حائرة، قد عَلَتها الطّامّة وقامت عليها القيامة، وهي كلما رامت أن تتصاعد بأجنحةِ فُهُومها نحو تلك السماوات العُلا جاءَتها الشهب مشرقة فرمتها فرجعت وهي خاسئة خانسة، دهَشَتها العظمة، وأخرستها العزة، وأصعقها الجلال، وهي مع هذا كله تحت تدليات التجلي، وتنزلات التدلي، تُعرِّفُ هذا العبد بربه، وتذكِّره بعهده الأزلي، وتوقظه من نوم ذلك الحدوث، وتخرج به من ظلمات تلك السوى، فإنها كلَّ لحظة تَفِدُ له بأنواع عناية وسوابق كرم وجلائل تفضل، ومراحم محسن شمل الكل بإحسانه، له من الإقبال ما يليق به ومن القبول ما يجمل بأدبه، فهو دائماً قبالة الاسم المتجلى عليه به، وله قبلة ذلك الوجه الذي اقبل إليه، ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾[2] وسعت وجوهه الكائنات، وأحاطت بسائر الموجودات، فله الكشف والانكشاف

---

[1] الجن/٢٦.

[2] البقرة/١١٥.

التامان الأتمان، والحيطة والإحاطة الكاملان الأكملان ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾[1]، والخلق ليس لهم من هذه الإحاطة شيء، يعني ان إحاطة الوجوه الإحاطةَ الكاملة هي لله وحده وهي من أقدم شعائر الالوهة وأجلَّها، إنما لهم من هذه الإحاطة التعرُّف الخاص اللائق بهم، كلٌّ يأخذ حظه من الوجه الذي أقبل به عليه، وهو بقدره فإنهم ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ﴾[2] والله قدر قدرهم وعرف منازلهم، فأنزل كل واحد في منزلته وأقامه بالدرجة اللائقة بمكانته، وبهذا تم انتظام الوجود وكمل شانه، وإلا لما كان على هذا الانتساق والانتظام، لما كان على هذه الأَتَمِّيَّة في الصناع والأكملية في الإبداع، كان ما كان وليس في الاكوان أبدع منه، مرآة العلم الأقدم، نقش القدرة الغالبة، هيكل الحكمة البالغة، حيرة في حيرة، وقدرة تدل على القدرة، هذه الخلق على أنواعها شؤون خاصة، وتجليات ساطعة، حقائق مختلفة، أو خيالات متشكلة، ولكل منها رسم ولذلك الرسم اسم هو به أحق وله أليق له به يتجلى وعليه به يظهر.

---

[1] سبأ/٣.

[2] الزمر/٦٧.

لكل واحد على الشأن الذي يعرف به ربه تَوَجُّهٌ للحق ووقوف بين يديه وهو ما تقلب في المعتقدات، ورجع من الغايات إلى البدايات لا يفارق محصولَ فكره ومحصورَ ذهنه وصورةَ نفسه ومخلوقَ خياله، مبؤوس مدحوض بين صورة رسمتها عقيدته، وأبرزتها واهمته، جلَّ ربنا وعزَّ وعَظُمَ وتعالى، بيد أنه مع ذلك يشم رائحة إقبال الحق في كل أحواله فلا تمر لحظة إلا وتمر عليه نسمة قبول، ينشق منها عبير لطف، ويستنشق منها أريج كرم، مع ما هو به من الذهول والغفلة والتجاوز للحدود والتطاول على الأوامر، فيسد عن نفسه بنفسه خيره، ويجلب بيديه ضره، ويوقع نفسه في المبائس والأحزان، ويدقعها بالمعاصي والطغيان، وعند ذلك تبرز له وجوه القهر والجلال، ويقع في الأوحال، ويصاب بالأنكال، يساء ويفتتن فييأس ويحزن، وينكسر من الخاطر، ويبقى في نفسه صاغر، فتعود الأيادي عليه، وتصل الألطاف إليه، ويدركه الإحسان على الإحسان، ويلحقه الامتنان على الامتنان، حتى إذا تمت الدورة وانتهت الكرة، أبرز في نفسه خيالاً ورأى لها ظلالاً، فظن لها فعالاً، فهو دائماً بين يديها لَساجد، ويدَّعي أنه عابد، والحال أن الأمر مُحال، تعالى ربنا ذو العظمة والجلال أن يُعرَفَ بحال أو يُدرَك بقال لا نعرف منه ولا نعرفه إلا بالنوال.

٢- وتَخَالفَتْ آرَاؤهُمْ وَتَبَايَنَتْ مِنْهُمْ هُنَاكَ مَقَاصِدٌ وَعَقَائِدُ

على اختلاف المشاهد وتباين ما لها من الشواهد، اختلفت الأذواق وحارت الآماق وتاهت الآراء وتباينت الأهواء، وتغايرت الأماني والآمال، وتباينت المشتَهيات في الرجال، فواحد يأخذ يميناً والثاني لشمال، والريح تهب وقتاً سَموماً وآخر لشمال، كل ذلك اختلاف المولدات بمواليدها، وتباين درجات الموالي وعبيدها، اختلف البذر فاختلف النجم، واختلفت الجذوع فاختلف الشجر، واختلافها اختلافٌ في الأثمار والأقوات، تحت صدمات الأمكنة والأوقات، وفوق ذلك تباعد الأقطار، وبرد الليل وحَر النهار، وتأثير الأمزجة والطباع، والأشكال والأوضاع، بل والحركة والسكون وهكذا الأمر فيما كان وما يكون.

فيا أيها الملقى في كل وحلة رعتك عيون الحق في كل حالةِ
شهوداتُ حقٍّ قد أتتك قديمةً وأنت بأرض الذر هيكل فطرةِ
وجاءت لك الدنيا وما قيل بالذي أتى من نسيج الغيب من أي وجهةِ
فأصبحت شكلاً مفرداً عز مثله عن المثل والأشباه في كل حضرةِ
وخصصت وجهاً عز يثنيه آخر وعز يراه الغير إلا بلبسةِ
وكانت به فيك الشؤون كما يشا وشاء فخصت فيك نشأة صورةِ

فأنت بهذا في أمان من العنا تعز فلا تبلى لغيرِ بلفتةِ
عقائد تدريها القلوب وإنما جلاها على الأعمال سلطانُ نِيّةِ

يذاق ما يذاق فيطعم أو يراق، يشهد ما يشهد فيعقد ما يعقد، فعلى تفاوت الأذواق والمشاهد، تتفاوت العزائم والعقائد، وبذلك تتشتت المقاصد وتتباين المصادر والموارد، ومنها تلد تلك الصور، وتكتب هذه السير، بل وتبرز كل المولدات في الكائنات.

٣- مَعْنَىً يَرُوقُ لِعَيْنِ صَاحِبِ عِبرْةٍ ويَحَيِرُ فِيهِ الْأَلْمَعِيُّ النَّاقِدُ

يا لها من معرفة هي جهالة، وجهالة هي معرفة، شتتت العقول ودلت على أنها عقال، وأن غايةما تدعيه النفوس من الإحاطة محضُ خيال، أبرزت الأمر على الصور، وعرفت أن الإحاطة للبشر ليست إلا لمخلوق الفكر، والمدرَك هو وما لهم من الإدراك فدركات، والإحاطة نازلة بهم تعالى أن تكون به، فإنه قد ارتفع عن التصورات، يرون ربهم كما يرون القمر، رواية مع البصيرة والبصر، بيد أنهم أَنزَلُ من أن تمق ألحاظهم تلك الحقيقة وتصل الرقيقة، أرفعُ من أن تتطاولَ الأملاك إلى أفلاك الإدراك، وإنما الأمر شؤون وأطوار ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾[1] تعرف بأنها مجالي ومظاهر، لذلك المتجلي

[1] الأنعام/١٠٣.

والظاهر، جَلَّ المتجلي أن يكون عين التنزل والتدلي، فانكشف سرهم، يأتيهم بما يعرفون فيعترفون، ويدهشون فيسجدون، فإذا جاءهم بغير ما عرفوا أنكروا وما اعترفوا وعنه انحرفوا، يا له من ظهور عجيب يدهش منه ألمعي الفكرة ويروق لعين صاحب عِبرة.

٤- وَلَقَدْ طَوَيْتَ بكُلِّ مَنْشُورٍ بَدا سِرّاً على التَّوْحِيدِ فِيهِ شاهِدُ

الأشياء طواها ونشرتها الإرادة، فاكتست من الصور ما ألبستها إياه القدرة بيد القدر، وبرزت وعليها بيد اليراع شهادة الانفراد في الإيجاد والابتداع، يقرأه كل ذي قلب، يعيه كل ذي لب، يفهمه كل عالم، فهم الرسوم والمراسم، وأبو الِعَبر عرف ما سر المبتدأ والخبر، في المؤثر والأثر وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، أخذها عن لسان الفطرة، وتلقاها سمع الشهادة، فوعاها وأداها، هي السر المودع والكنز المستودع، فطرها ربي بيده، وفطر عليها الناس ورتب عليها الكيان، وميز بها الأعيان، وهي مع ذلك كله واحدة الحقيقة، واحدة الحِكَم، واحدة الرسم، واحدة الأثر، واحدة العين، واحدة المشهد، واحدة المبدأ، واحدة المنتهى، بيد أنها ما تلت من سورة ولا مرت على صورة إلا وتنفذ ما يرفع إليها، وتمضي ما يعرض عليها بلسان الاستعداد، وفوق ذلك لربنا الإمداد، فإنه يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، يعز

ويذل، ويحقر ويجل، يغني ويفقر، ويجبر ويكسر، ويَقبَل ويُقبل، ويُمهِل ويمهل، وهو لامعٌ سلطانُه وبازغٌ امتنانه، وعلى ذلك برزت الأسماء، ولمع ذلك البارق الأسمى، كانت التجليات والتدليات، وهو في كل شؤونه واحد الذات كامل الصفات مرفوع أن تحيطه الأفكار، وهو الواحد القهار العزيز الجبار مكور الليل على النهار سبحانه!

٥- هَذَا مِنَ الْبُرْج الْمُرَفْرَفِ هَابِطٌ إِذْ ذَا بِمِعْراج التَّدانِي صاعِدُ

هكذا صدر الأمر السابق، ونفذ الحكم اللاحق، أن الأمر كلَّه قِلّه وجُلّه، دائماً مضغوط ما بين صعود وهبوط، فالامر بين صاعد يرتفع، حتى يصل للرفرف والملك هناك في عوالم المحاضرة صفاً صفاً، يشرب بكاس التداني لذيذ خمر التهاني، ويهنأ في تلك المباسمة بلطيف تلك المشاهدة، وهذه المكالمة يخلع عليه خِلَع التكريم ويخاطبه بخطاب التعظيم، وذلك بعدما كرت عليه الكرة، ومر على الحضرات حضرة حضرة، ولبس في كل منها برداء ظهور، منسوج من الظلمة والنور، والرداء ظاهره حجاب وباطنه كساء وجلباب، يواري سوأة عدمه، بما أفاض عليه من خزائن كرمه، فإنه بوصوله إلى العرش الأعلى يلبس خلعة الاستوا، وعنده يصل إلى الكرسي ويُتجلى بالتجليين القدسي والأنسي، يتدلى إليه القدمان، وترفع هامته بقدم الرحمن، وعندما ينزل إلى السموات

تتوارد عليه التجليات، ففي كل حال منها يأخذ حالاً وينزل مقاماً ويشرب كأساً ويهيم هياماً، فلا يصل إلى الأرض إلا كسي ثوب النفل والفرض، وجعل على عاتقه الحمل الثقيل، من التحريم والتحليل، فإما أن يصعد به صالح العمل أو يزلَّ به الزلل إلى أسفل ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾[1] في الآخرة والأولى، وبين[2] هابط من البرج المرفرف وعليه جناح من النظر الخاص قد رفرف، فهو في كل طور من أطواره يَطَّلع على سر من أسراره، وفي كل فلك من أفلاكه يُمَدُّ بنَفَسِ مَلَكٍ من أملاكه، ولا يمر على لوح إلا وقرأ منه ما كتب له وسُطِرَ على صحيفة جبينه، منه ما أهله، ولا ينزل منزلاً إلا وانهل منه نهلاً، ولا يطوف بيتاً معموراً ولا يتلو كتاباً مسطوراً إلا ويأخذ منه ما قسم، ويمضي له منه ما رسم، ولا يمر على نجم إلا وجد منه هدى وعلم، فإذا تم لها النشأة في الكيان، ومضى به الأمر للعيان برز في أحد منازل الكون وعليه خلعة سكينة من المدد والعون، أو خَلعة طيش من الذلة والهون، فينفث لله في كونه أمراً وينشر من طي غيبه سراً هكذا قضاء به سبق لَمَّا خلق ما خلق.

---

[1] النجم/٤٢.

[2] معطوفة علي (بين) الأولي فى بداية شرح البيت.

٦- شَيءٌ عَنِ الطَّيِّ المُطَلْسَم صادِرٌ مُذْ جَاءَ مِنْ نَشْرِ الْبُرُوزِ الْوَارِدُ

مفارقة العلم للمعلوم، أليق بالحادث وألبق بالمعدوم، برزت الأشياء في عوالم العلم، وركزت مالها من معالم الحكم، فكانت ما كانت شوارق رقائق، طرائف لطائف، مدلات الستر، مكتومة السر، مطلسمة الأرقام، مُلَغَّزَة الكلام، فبرزت، وأخرجت منها ما كنزت، أخرجتها بكلمة الكاف والنون، وإنما امره إذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون، وهي في تَدَلّيها وتدحرجها وظهورها وتبلُّجِها، كلما نزلت دركة قلبت ورقة، وجودت آية حتى تأتي على آخر الكتاب، وتعي جملة الخطاب، فتكون كياناً، وتبرز عياناً، ثم بعد مضي عصر تنزل للغروب شمس ذلك العصر، فتهاجر من عوالمها وتخلع لمعالمها ويأتي بُهْمُ ليل العما، فيملأ الأرض والسما، وترفع إلى ما كانت من قبل عليه، والشان الذي كانت منه تطير إليه، فالعالم على هذا السيار والله مكور الليل والنهار.

٧- آياتُكَ الْكُبْرَى وإنَّكَ فَاعِلٌ مَا شِئْتَ فَلْيَقِفِ الجَهُولُ الْجَاحِدُ

تقدَّسَ في جلاله وتفرد في كمالِهِ، لهُ في كل شيء آية ظاهرة شاهدة على أنه وحده إله الدنيا والآخرة، ليس معه من شريك، الكل ملكه وهو له مليك، بل كل ذرة من ذرات الوجود تشهد أنه الإله المعبود، لا ينازَع فيما فعل، لا

يعارَضُ ولا يُسْأل، فإنه هو المِلك، ويشهد له انه كل ما سواه هالك، هذه السماوات على ارتفاعها، والأرضون على انخفاضها، والليل والنهار على هذه الدرر الكرار، والفُلك تجري في البحار بالبخار و ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[1] والسحاب تأتي بالإعصار، فتحيي وهاد الأرض ورباها، وذاك تصريف الرياح، وتصرف الأرواح بالأجسام، والأجسام بالأرواح، شاهدات على أنه رب الأرضين والسموات والأمر كله إليه، والاعتماد لا يصح إلا عليه فإنه هو المتفرد في الخلق، والقاسم للرزق، وهو المميت والمحيي والمانع والمعطي، النافع والضار، وهو في كل امره مختار، لو تحشدت الشعوب والقبائل بل لو اجتمعت الأواخر مع الأوائل، فليس إلا ما أراده يكون، وأمره بين الكاف والنون، فليحفظ الله حافظه، وليسجد لله واجده، ومن سأل فليسأل من ربه، وإن استعان فلا يستعن إلا به.

هذي الخلائق كلها لو حشدوا لم يفعلوا إلا الذي كتب الإله

بيد أن هذه الأسباب من آيات الكتاب، أيادٍ من الحق تمتد بأياد لم يطرأ لها في الوضع الفساد، وضعها الحقُّ في خلقه سُنَّةً، ووضع معها قصاصاً ومنّةً فالمنة تأتي بالمواهب أكثر ما تأتي بها المناقب، تهطل بالنعم وتغدق بالكرم، والقصاص

[1] سورة هود/٤١.

مجازات ما عن تقصيرٍ وافتئاتٍ ارتكبه العبد وجاءه فقطع وجاءه، ليس إلا ذاك فلا ارتباك، غفل من غفل فذهل ما ذهل، رأى أسباباً ومسبباتٍ فظن فاعلاتٍ ومنفعلات، قائمات قاعدات، والحال خيال، والأمر محال، ليس لها من أثر، وكذب فيما رأى البصر، وجاء الآخر ودقق النظر، فرأى الأمر ليس على ما قيل، هو كذبٌ وأباطيل، وكان دهشَةُ الفلك بدورانه والنجم بلمعانه، فأخذ يقوم له ويقعد، ويركع ويسجد خلص من وحلة فوقع في ثانية، وكانت له الهاوية وعليها القاضية، وليس لها عن عزلها ثانية، والله الواقي يوم تسيل المآقي.

٨- لَكَ فِي الْعُقُولِ جَلالَةٌ وَمَهَابَةٌ وَعَلَى الْقُلُوبِ حَواجِزٌ وَمَراصِدُ

هذه الأرواح التي تنزلت لتلك الأشباح، وهي نسخ الأمر من عوالم السر، أنزلت لتلك القوالب، لتستجمع ما سبق لها من المناقب، وعَلَاها من كثائف الأجسام ذلك القَتَام فأضحى لها من كل وجهة حجاب لا تعي لظهور ولا تفهم لخطاب، كلما مسكت بنفسها وهدأت في حدسها، ورفعت بلحاظها إلى سماها، وتأوهت إلى منازلها ورباها، وذكرت ذلك القرب والإدناء، وهاجت إلى أنس ذلك المنزل الأدنى، فيقبل عليها وجه الكرم، ويتجلى لها تجل أعظم، فتمتلئ منها مهابة وإجلالًا، وتخضع عزةً وجلالًا، وترجع وقد عقلها عاقل

الهيبة، وأخرسها وأسكتها غالب الدهشة وأبهتها، عقلت ما عقلت؛ فعقلت ماعقلت، فهي على معرفتها بالمواطن، ومن الظاهر والقاطن، حيراء بهتاء، لا تعرف اللَيَّ من السواء، تتقلب وكأنها بين إصبعين، لا يُعرفُ لها منزل من منزلَين، ولا حال من حالَين، كلما أرادت أن تقف موقفاً دفعها دافع من القفا، وقال :إلى أمام فهنا لا مقام، ماسك القلوب يمسك بها ويرسل، وكاشف الغيوب حيث ما شاء بها ينزل، حواجز الغيب لا تبصَر، وطرق التكوين بمراصد تُخفَر، فالله هو يفعل ما يشاء ويصنع ما يريد، هو الإله وما سواه فعبيد.

٩- وَبِنَظْم ذَرَّاتِ الْوُجُودِ طَلاسِمٌ مِنْهَا بِأعْنَاقِ الْجَمِيع قَلائِدُ

سبحانه !أوجد الخلق الخلق ذراً، وأودع في كل ذرة سراً، فهي به تعرف، ولها منه بها لها تعرف، بل هو يعرف بها ويكشف منها، فهي حرف عالي وتحته سر متلالي، بل والكائنات كلمات تامات، قامت حقائقها بتلك الحروف العاليات، أُحكمت على أسلوب بديع، وجاءت على نَسَق منيع، فسمعها العارف بأذن قلبه قرآناً يُتلى، وفهم منها كتابَ الله الذي كتبه على خلقه في عالم قدسه الأعلى، فكانت له قرآناً أوضح به وفَصَّل، ما أضمر في عوالم الله وأجمل، بيد أن ذلك اللسان الذي كله بيان، أعرب كل العروبة فأعجم، واظهر كل الظهور فكتم، واختلفت الفهوم درجات، وكانت الآيات منها متشابهات، والأسماء منها

معمى أو عماء، لا يقرأ وإن قُرات لا تفهم، تفهم ولكن لا يفهم سرها المُكَتَّم، تذاق ولا تنسم أو لا تعرف ولا تعلم، سبحان الله؛ طمست حروفها طمساً وهمست كلماتها همساً، تطلسمت ومن أين يفك ذلك الطلسم؟ وهو سر سليمان أودع في الختم، سخر به سليمان الطير والحيوان بل والإنس والجان، الله أكبر هو سر الله الاكبر الذي سرى في زيد وعمرو وخالد وبكر، فسخر لهم ما في الأرض في الطول والعرض، فسخر لهم ما خلق مما فتق ورتق، سبحان الله؛ هو السر الذي تجلَّى به على الأكوان، فسجدت للرحمن، وخضعت للديان، وقامت به على بساط الخدمة في حضرتي الغيب والعيان، الله أكبر؛ هذا السر الذي سرى بالإنسان فكان ما كان، كان الحضرة الجامعة والحصون المانعة والأسرار المُكَتَّمة والأسماء المطلسمة.

الله أكبر ما للغيب قد رفعت عنه الستور ومنه السر قد لمعا
أرى المجالي بأسماء الإله بدت وليس تحصى ومن يحصي فقد رفعا

يا لها من طلاسم، فهمها الفاهم، وهام بها الهائم، مجملها سر القيوم، ومفصلها مجمل القائم ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾[1] أودع منها في كل عنق قلادة، وألبس لكلٍّ منها مطرف من الحسنى وزيادة فالكائنات

[1] الرعد/٣٣.

بشعارها ودثارها، تشهد بالوحدة لمكوِّن آثارها وهما لها الحافظة الواقية، حتى تأتي الدار الباقية، وهما لها النسخة التي كتب عليها اسمه، وكتب بها عليها رسمه، وأقيم بها حكمه، ولمع بها من الوجه الأقدس تمه وعلى ما سطر في صحيفتها ورسم أنفذ الأمر وتمم.

١٠- يَا حَاضِراً لِكَمَالِهِ يَا غَائِباً لِجَلالِهِ عَنْ غَيْرِهِ يَا شَاهِدُ

حضر بكماله وغاب بجلاله، فالأسماء الحسنى أسماؤه، والآلاء المتواترة آلاؤه بل والكائنات كلها آثاره، وعليها شعشعت أنواره، هل من اسم يحسن أو وصف يعلو؟ هل من شأن يحمد او لطف يشكر؟ إلا ولذاته عائد، وعلى ذلك في الكون براهين وشواهد، القدرة قدرته، وهذه على صفحات الوجود آثارها، والعلم علمه وهذه ضمائر القلوب لديه أسرارها، والإرادة إرادته، وهذه العزائم بيديه والقلوب بين إصبعيهِ والفعل فعله عقله وحله، والأسباب قطعت أسبابها، ونسخ كتابها ما شاء كان ويكون بكلمته، وما لم يشأ لم يكن لغلبة مشيئته ، فكمالاته على صفحات الكون مسطورة، وبألسنة العقول تتلى آياتها وبحار إفضالاته أبداً مسجورة، وعلى الكائنات تتقاذف أمواجها، ومع ذلك له غيب الذات تحت ستور الأسماء وحجب الصفات ،والأرواح وإن تسامت معاريجها وعلت مشاهدها هي فوق ذلك بأحقاب، وبينها وبينه ألف

ألف حجاب، أقرب موطن جاوزته موطن الأمر، وهو أرفع معراج تعرج إليه والمشهد في ذلك المقام هو الكلام، فالنهاية إليه والعالم ذلك عالم الظهور والشؤون فأين الذات وأين البطون؟

فأين الجلال، وأين الجلال؟ ونحن الحيارى بمجلى الجمال

ترانا إذا ما تجلى سكارى وحين يغيب بشكل الخيال

فهذا التدلي محاق العقول وذاك الوصال علينا حيال

فكيف العماء وتحت الغطاء مجالُ الوصول محال الوصال

الله أكبر ظهر فما بطن وبطن فما ظهر، وهذا الدليل يلوح فوق الأثر، أقسم والواحدِ المعبودِ إنه لشاهد ومشهود، علم الأشياء من قبل في الأزل، وشهدها كما علمها عز وجل، أحاط منها الذر وكشف ما كمن فيها من الأمر السر، فشهد عند ذلك لنفسه بوحدة قدسه، ذلك وقد رأى شأنه الأقدس معها إمداداً، وحالها معه طلباً واستمداداً.

١١- كُلٌّ يُقَلِّبُهُ بِمَهْدِ حُظُوظِهِ مِنْكَ الْمُقِيمُ الْمُحْضُ وَهُوَ الْقاعِدُ

الحق تعالى له البقاء أزلاً وأبداً، جل أن يطرأه حدوث أو يعرضه تغير، والأحوال والتغيرات شؤون الحادثات وأوصاف المعدومات، له البقاء من الأزل إلى الأبد، وجل أن تؤثر فيه المُدَدُ، وإنما الأمر الآن على ما هو عليه أزلاً

من الظهور والبطون وما يليق له من الشؤون، وكذلك على مدى الآماد بلا ترداد، الزيادة والنقصان شأن الحدثان، والظهور والاستتار إنما هو للأبصار، والأبصار أعجز أن تحيط بالمرئي فكيف بالواحد العلي، والعقول وإن تجاوزت المحسوسات فليس لها إلى ما وراء الغيب افتئات التفات، وإنما كرم الحق وحنانه أقبل بالوجوه وتنزل بالشؤون، فكل واحد إن عرف من الحق فما عر ف إلا وجهاً له به أقبل، وشأناً به عليه تَنَزَّل، وهذه ما المظاهر وتلك ما التجليات وكلها له آيات وبوجوده شاهدات ،والتجلي لا يبقى زمانين ولا يكرر مرتين ،فتخالفت الأذواق وتباينت الفهوم ، وكل ذلك لعجز هذا الحادث المعدوم ، والعجب كل العجب أنه أبدا يدور معها حيث دارت ويسير بإزائها حيث سارت ، فحيثما لاحت له سجد سجودا واتخذها إلها معبودا ، وذلك حظه الذي يطلبه وأمله الذي يرغبه ، ولا غرو و حياته منها وسعادته لديها ،هكذا أحس بفطرته وعلم بخلقته ،ولكن تباعد عن عينه الأمر واستتر عن عينه النائمة فجر ذلك الفجر،فعندما يلوح له ضياء يبرق ، يظن ذلك البرق يخفق ،فها هو ذلك الباقي تسجد له القلوب وتشخص له المآقي ، يتقلب لهم ولا يعون ، فيكفرون ويؤمنون ، يقبل لهم بما عرفوا فيسجدون و يأتيهم بما نكروا فيعندون ويعاندون ، فهو أبدا ذلك الإنسان يتقلب بين أصبعين من

أصابع الرحمن ، يقلب من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين، يقصد فيصدق ويرصد فيعين ،قيوم السموات والأرض والقائم على كل نفس بما كسبت ، مقيم على ما هو عليه ، والأمر ليس إلا منه إليه ، يقلبهم بمهد حظوظهم ، ويريهم إياها ويربيهم بحكم استعداداتهم وفيض إمدادهم إلى الدرجة التي قدرها وقضاها ،فجاءت لهم الأسماء وكانت لهم الأرض والسماء ، فبهم ولهم كانت النسب والاعتبارات، وحواليهم وعليهم كانت الأسوار والجهات، والحق فوق ذلك أعلى وله جل جلاله الأسمى، فالعجب كل العجب في محمول يظن نفسه حاملاً، ومكبول تخيل كونه كابلاً، وقلب رأى نفسه مقلباً، وغلب وظن متغلباً، والعارف العارف من عرف حده فوقف عنده، حتى بلغ أشده فأخذ من الأمر أسَدَّه، فإنه ليس يدري إلى أين المصير، والله هو بكل شيء خبير.

١٢- يَتَصَرَّفُ السِّرُّ القَدِيمُ بِأَمْرِهِ وَتَراهُ يُعْمِلُ زَعْمَهُ وَيُجَاهِدُ

العبد يجهد والإله الفاعلُ ماذا قضاه الحق فهو الحاصلُ

يسعى الفتى في زعمه ويخال في أفعاله لمرامه هو واصل أمضاه

والحال منها لا يكون سوى الذي قِدماً ليس يدري الفاعل

هذا تراه على الصباح مهرولاً يسعى ويجهد وهو غِرٌّ ذاهل

والثان يفكر ما الذي يأتي بما أرجو ودوني عنه هذا الحائل
ولئن قطعت لهذه العقبات ما أهوى جرى لكن ذلك هائل
كل يصور فكره صوراً إذا حققتها هي باطل هي باطل
الله يفعل ما يشاء وسره متصرف والناس عنه ذواهل
يُسرى به حيث القضاء به سرى فينال مؤمل أو يخيب الآمل
والكل آلات القضاء بكرها تجري على ما شاء وهي غوافل
وخواطر وسرائر وضمائر وعقائد ومقاصد ومآمل
وعوائد وطبائع وموانع وجواذب ودوافع وفواغل
وحواجز وسوائق ومشاهد وشواهد وصوائل وغوائل من
كل إذا حققت بردته التي تحتها ماض قضاه الصائل
سبحانه كل الوجود مسلسل لقضائه لكن به وسلاسل

الفصل الثانى فى خلق أفعال العباد

١٣- عَاصٍ يُصَدُّ وَطَائِعٌ بِيَدِ الرِّضَا غَيْباً يُمَدُّ وَلِلْجمِيع مَوائِدُ

قرب وأبعد وقبل وطرد، أغوى من أغوى وأرشد من أرشد، إرادة ماضية وقدرة غالبة، وحكم نافذ ومشيئة مطلقة، ما شاء فعل ولا يسأل عما يفعل، وهم يسألون نظر إليهم وعطف عليهم، فإذا في القلوب قلوب مَكَّارة ونفوسٌ نَكَّارة، لا تقبل هَدْياً ولا تسمع قولاً، لا تذكر خيراً ولا تشكر جميلاً، لا تعي هدياً ولا تنقد غَياً، أحسنت إليها فأساءت، أقبلت عليها فأعرضت، أنعمت عليها فأنكرت، نصرتها فغوت، أغنيتها ففجرت، قويتها فتجرت، نصحتها فغشت، دلَّلْتها فما قبلت، أكرمتها فأهانت، صدقتها فماتت، صنتها فما صانت، ما شنتها ولك شانت، فإذا هي لا تستحق إلا الردّ ولا يلبق لها إلا الصد، فكتبت في دفاتر المبعودين وألحقت بطوائف المخذولين، وقيل لها: اخسأي ولا تكلمين، والحقي بالغاوين، وكتم الخطاب وختم الكتاب، وقيل: فليخرجوا لدار الامتحان، والامتحان إما مَعَزَّة مُعِزَّة، وإما امتهان، فمن أجاد العمل والنية وأخلص الطوية، واستقام على الحق وابتعد عن الخرق، وأخذ السنة وشكر المنة، ووقف حيثما أوقف، واعترف عندما عرف، وبسط بساط اللجا ومديد الرجا، فذاك الحقيق بالقَبول واللائق بشرف المثول، والأهل

للعطاء والمتأهل للرضا، فليُرْفعْ إلى منازل القرب وليلبس خِلَعَ الحب، وليتنعم في دارنا وليكن من جيراننا، وستخدمه النعم وتتشرف بخدمته الخدم، ولْيُتَلَقَّ بوجه الكرم، ومن أعرض وللطريق رفض فقد فوض أمره لحاكم العدل، ومع هذا لا يحرم شفاعة الفضل، فما أجاب وأقبل إلا ما ندر وقل، والكثير أعرض وتولى وباع الآخرة بل والأولى فانحرف عن صراط الهدى واحترف الشر والردى، وأبى إلا وهواه أن يتولاه فأجحف وأفرط وأهمل وفرط، فأخذ وألقي خارج الدار وعُرِّضَ للدمار، وأوقع في النار، ومع ذلك فلم يحرم من مائدة العفو والامتنان، ولم يقابَلْ على جميع ما أسلف من الطغيان، بل أُطعم وسُقي وفي أمور الحضرة ألقي، وأُمِدَّ وأمَدَّ وأسعف وأُيِّد فقوي على حمل القدر وأقيم له في الوجود الفعل والأثر، وأسدل عليه من سجف اللطف ما خفي عن عينه، وأَوصَلَ له من يد العناية ما أقام لكونه، وفوق ذلك وجد رَوحاً ويجد ارتياحاً، ويكرع صَبوحاً ويبسم صباحاً، فذلك الكريم الحنان والرحيم الرحمن، شملت منته البَرَّ والفاجر، وهو على كل ما يشاء قادر لا لبغية يطلبها ولا لمنية يرغبها ولا خوف حادث يتوقع، أو بلاء ينزل فيدقع، كلا بل لطفاً وإحساناً وكرماً وامتناناً، فيا هناء من أمدَّتْه يد الرضا غيباً، وكان الله الكريم له مأرباً، يكلؤه بعنايته ويحرسه برعايته، ويواصل إليه ألطافه ويكفيه الله ما

أخافه، ويرسل إليه النعم، ويوصل له جبال الكرم، وتمتد إليه الأيادي وتغدق عليه الأيادي، النظر الإلهي يحرسه، واللطف القدسي يؤنسه، فأين حاله وحال ذلك المبعود والمؤسف المطرود؟ سبحانه قدر وقضى وله على الكل الرضا، هذا يُطْرَدُ ويبعد وذاك يُقبل فَيُمَدّ، والأمر له فلا يسأل والفضل له على من شاء يتفضل.

١٤- لَا يَعْرِفُ الْكَسْلانُ مَا أَضنَاهُ مِنْ كَسَل وَلَا يَدْرِي النَّشاطَ الْعَابِدُ

محرك الهمم وسائق العزائم وباعث النفوس ومقلب القلوب وقائد الخلق إلى ما خلقوا ذلك الإله الذي علا سلطانه وسبغ امتنانه وطال إحسانه، فترى العبد صَوَّرت نفسه ورسم خياله وأعظمت أو أصغرت واهمته وأمرّت أو حلت ذائقته، وأهاجت به نخوته وقادت له شهوته، وغلبت عليه أُمنِيَّتُه، وسلسله هواه والكل يجره إلى قدره وقضاه، وربما الكائن من تلك المبادي والكامن فيها ليس النتائج التي قصدها والفوائد التي عددها، بل الأمر ضدها من خير أو شر وأجر أو وزر، كم مرة ينشط والعمل ضائع وفي العاقبة هو نادم على ما هو صانع، وأخرى يكسل والكَسِل وهو ذكر يحبل ويلد ويعد ويرفد، فترى المواهب إليه مرفوعة والمشتهيات له موضوعة، والقصور له مصنوعة، وهو مستحي بعزيمته، توجه لقبولها وتعلق بمقبولها، فلعمري لذلك العجب

وأعجب ما أُعطِي زَهَدَهُ وما مُنِع رَغَب، كل ذلك حتى ينفذ الحكم ويمضي القدر، وأين أين العين؟ وأين أين الأثر؟ قيل للعارف :بماذا تعرف ربك؟ قال : بتقليب العزائم ما أوقف العامل عن سعيه؟ وما حرك الواقف نحو العمل؟

قلوب الخلق أجمعها لديه يقلبها الكريم بإصبعيه

فلا تعجب لدى الإعراض ولا تعجب إذا عادت إليه

عنه أراها ريشة في وسط جو وحيث تكون مرجعها إليه

١٥- رَمْزٌ يُنَمْنِمُ حَيْرَةً بِنَسِيجِهَا تَاهَ الْحَكِيمُ أَجَلْ وَضَلَّ الرَّاشِدُ

رمز فأخفى فما فهم إلا من حذق، كان ما كان فسأل وسئل فأجاب وعمى فخجل متطاول إلى ما ليس فهمه، وأُسكتَ فاهمٌ غلطُه وهمه، رمزَ حتى تقوم الحجة على من يقظ فيسكت، ولولا أن يجاب لقال، وفي قوله صال، والغرُّ فلا تكشف سيرة كتمت ولا تعرف سريرة من قبل طلسمت، تكشف وتكشف ولكن لو كشفت فالحجاب بعد يخرق والمستور يهتك، وما كان ليكون الحكمة تعمر الهدم والرحمة توجد القدم كلا قسم الأمر ما قسم، وعلى القسمة قسم ما قسم، فأخذ الكل بنصيبه وسكن وفهم سر عجيبه فكمن، الجاهل في نشأة يرقص ويطرب، والعالم في تيهه يحار ويعجب، كل سكر والسكر متفاوت، وما تساوى عندهما الحاصل والفائت

يضل الرشيد يتيه الحكيم ومن ذا يكون الحديث القديم

يحار اللبيب بهذي الشؤون وتبقى العيون بها في غشا

تجول العقول ومعها النقول تروح الصباح وتأتي العشا

أمام النظر أجال النظر وقال الفكر أراها حير

ففيم التعب وهذا النصب؟ شؤون عجب تكل البصر

سحبنا ذيول الفخار وقلنا ورمنا جلاء الغطاء وجلنا

ظننا غشاء العيون كشفنا إذا دهشنا غلبنا كشفنا

خجلنا وحرنا ندمنا ودمنا نديم البكاء وهمر الدموع

فمنا اللبيب ومنا الأديب فقيد الرقاد فقيد الهجوع

سكوتي سكوني عيوني غيوني وهذي شؤوني تبين الأمر

فقولي وفعلي وعقدي وحلي ووصلي وفصلي غطاءٌ لسر

١٦- هذا حَرِيصٌ وَهُوَ يَعْلَمُ تَرْكَ مَا يَقْنِي وَهَذا عَنْ شُهُودٍ زَاهِدُ

جذب القلوب لما يشاء وقادها فالعقل من بعد القضا ما فادها

هذا اللبيب بلبه وبحذقه رضي المذلة في الهوى وأرادها

فالنفس أعطى في المحبة غيدها سمحاً وأولى عرضه أغوادها

وأخو النباهة وهو يعلم ما قنى الـ قاني من الأخرى وفيم ارتادها

أناءت به عنه حظوظ خالها خالاً فأكثر في الورى زهادها
قالو ولو علم الجهول بذاك يوماً تصير إلى العدا ما شادها
قلنا ففيم ذا العليم بعلمه من بعد ما خربت أتى فأعادها
ولما له زهد الجنان وحورها وأتى لنا بشهودها شهادها
حرنا بذاك وذا فقلنا دهشة جذب القلوب لما يشاء وقادها

علم ما لديه وما أمره صائر إليه، سيترك ما جمع وحصَّل وليلقين ما أتى وفعل، عرف أن الحط على طرف جناح ولا بد من الرواح، والمنزل هناك وهنا لا ملك ولا أملاك المقام هنا يوم أو يومان، وليس هناك زمان، إلى ثمَّ تشد الركائب وتقاد الجنائب وهنا أعراس مدلج والحي حي بن مدلج، فلوى عنان فرسه ونزل وقال :إلام الرحل وأخذ يزعم مقاماً وسيلقى قوماً كراماً وهو يكذب زعمه ويعرف عزمه، يعلم سيترك ما قنى وأنه ما كان منا فحرص وشدَّ أسر حرصه وترك وراءه الخبر بنصه، لم يبال وحوله حورٌ حورت عيونها بجنان غنت غصونها، وأنهار تسيل فوق السلسبيل، زهد فما أزهده ومن زهده، وحرص فما أحرصه، ومن حرصه، سبحانك ذلَّ الكل إليك والاعتماد ليس إلا عليك، هذا الحريص بحرصه على ما أفاده كتابه بنصه، وأما أخوه الزاهد فإنه قامت عنده شواهد في جميع المشاهد، إن كل ما كان كان، وليس الإله

لأجله من عالم الغيب إلى عالم العيان أنزله، فعليه أن يقبله بيديه الكريمتين، ويتلقاه على الرأس والعين، ويقبل عليه إجلالاً لوليه وتعظيماً لباريه، ولا يتوانى في ذلك شكراً للمالك فتباطأ في الواجب وما أداه ولبس من الزهادة ثوباً خَلِقاً وترداه، فما هذا الشأن ليس إلا رمز عيان على أنه الفاعل في الأكوان وما شاء كان.

١٧- فَتَبَايَنَ الحُكْمانِ حِينَ تَوافَقَ الْـ ـنَظَرَانِ وَالْفَعَّالُ فِيهَا وَاحِدُ

تصرف بالأشياء وصرف القلوب لما يشاء، فهو المقلِّب لها بين أصبعيه بغلبة حكمه وبسطة يديه، قال القائلون :تختلف المشاهد لاختلاف الشواهد، والآخرون قالوا :الشهود يختلف لاختلاف المشهد، وبذلك توحد ما توحد وتعدد ما تعدد، وكلٌّ له في قوله وجهةٌ تَأَوَّلها وبواضح دليل دَلَّلها، بيد أن العارف لا يقول بأحد الشقين ولا يلوي النظر إلى الاثنين، فإن المشهود يعطي الناظر معنى والشاهد ينزله بحسب استعداده في مبنى، والحق فوق ذلك له الإشهاد على حكم التقريب والإبعاد، يُشْهِدُ لمن يشاء مما يشاء محاسن ما فيه فتعشقه النفس وتميل إليه دون ما سواه وتصطفيه، وإن شاء أشهد المساوئ وأبدى القبائح، فانتهكت الحرم وعمت المفاضح، إن شاء زهَّد القلوب بالعزيز فكان ذليلاً، وإن شاء رغَّبها بالحقير فكان عندها جليلاً، يحرص

الحريص وهو ما حرص على ما في يديه، وإنما حرص على ما رأى، ولو رأى ما رأى أعرض عن الفاني وعنه لوى، والزاهد زهده وما كان ما عنده زهيداً وكان بأن يقبض عليه عتيداً ولكن الله صرف لما صرف سبحانه حكم وتصرف.

١٨- أَلْهَمْتَ نَفْساً فِي الشُّؤونِ فُجُورَهَا وَلِتِلْكَ تَقْواهَا وَغَيْرُكَ فَاقِدُ

من أطلع الشمس وضحاها؟ والقمر وقد تلاها والأرض بنور النهار جلاها ثم ببردة ستر الليل غشاها؟ هو من أبرز نفسك من العدم وسواها و ألهمها بعدُ فجورها وتقواها، فالهداية ليست بعد إلا هدايته، والعناية الخالصة ليست إلا عنايته، وأخو الخذلان في خذلانه أسير سوئه وأحزانه، بيد أن من طرق الباب وأطرق للخطاب، وأدَّب نفسه ما استطاع ودأب بها على الاستقامة في الأطوار والاوضاع، هو الرجل الذي زكاها فأفلح ونجب، وجمع مجامع الكمال والأدب، وأحرز أرفع الأماني ونهاية الأرب، والمبعود مُبْعَدٌ وفي صحارى الأقدار مُبَدَّد، يتقاعس بنفسه فيجاب ويرمى بسهمه الذي رمى به فيصاب، سبحان الله ...!سبحانك سبحانك يا محيط الغيوب، ويا مقلب القلوب، هي بين أصبعيك تقلبها إلى الوجهة التي شئتها، ومن قبل في أزلك قضيتها، وليس لأحد معك من أمر ولك عالم الخلق والأمر، الكل مفقود وفاقد، والموجود أنت ومن وجدك فواجد.

١٩- والْحادِثاتُ جَمِيعُهَا زَرْعٌ وَإِنْـ ـنَكَ أَنْتَ زَارِعُهَا وَأَنْتَ الحَاصِدُ

عَيَّن لها الحقائق بعلمه، وأثبت لها المراتب بحكمه، وأعطى كل شيء خلقه وقسم لها بقانون عدله رزقَه، فأمد هؤلاء وهؤلاء من مواهب الفضل وجلائل النعماء ولا يزال الأمر في الأشياء على الأَرِقَّاء والأجِلَّاء حتى يتم الإنشاء وتبرز على ما شاء بما شاء فما كرت عليه الكرة وتمت له الدورة عاد لدورة أخرى هو بها أحق وهي له أحرى، سبحان الله ...أرض غيبه أرض واسعة، خضراء كثيرة الأنحاء طيبة التربة، صافية الهواء عذبة الماء، مُنْبِتَةٌ كلُّ ما نبت في الوجود فهو من نبتها، بذر الحق فيها بذره ذراً، ذرأ ذرأهُ من الغيب غيباً ورباه في مشيمة تلك الأرض الولَّادة فأرضعته مرضعات سحب الشهادة، ختى قام نباتاً أخضر تهزه نسائم الغيب، فمنها ما هو لها هف ومنها ما هو لها صرصر، أرسل ويرسل عليها شمس مصيفه فتبيد، وهو لها من غيبه أبدى، ومن بعدُ لها لعالم شهادته ومشهوده، سيعيد سبحانه يرسل عليها مجمل القضاء المحتوم فيحصدها حصداً، ولا تزال بها أيدي القدرة حتى تعيدها ذراً فسبحان من برأ لها وذرأ.

٢٠- يَا مُوجِداً نُسِقَ الوُجُودُ بِبَابِهِ والكُلُّ مِنْهُ يَدَ الْإِعَانَةِ وَاجِدُ

عدم أضاء له سناً سناكا فغدا يغرد دائماً بثناكا

إذا كان من عدم وجوداً ظاهراً يبدي لأرباب القلوب جلاكا

في باب عزتك المقدس شأنها بالذل منتظر جزيل عطاكا

فأتت له خلع الرضا ما حاكها الله إلا نداك لمن أتى ناداكا

كلٌّ في حضائر غيبه قد قام دهراً هائماً بعلاكا

فأتت له منك العناية سُحبها تسقي بغيث الغيب كل رباكا

فالكل دارٍ واجد والكل شوقاً واجد

والكل عشقاً قاصد قرباً لعرش عطاكا

٢١- فِي مَهْدِ سَاحَةِ حُكْم حِكْمَتُكَ انْطَوَى مُتَنَبِّهٌ بِالْكَائِنَاتِ وَراقِدُ

تعالى مجدك الأعلى تعالى تفرد عزة وعلا جلالا

غني ليس يدركه افتقار عزيز من يخال له مثالاً

حكيم كل هذا الكون باد بحكمة قدسه الأسمى ظلالا

ظلال في ظلال في ظلال تجلت بالحقيقة أو خيالا

سبحانه سبحانه سبحانه...ما أعظم شأنه !لحكمته السلطة في الوجود فليس شيء صادراً في الوجودات إلا وهو تحت حيطتها، وذلك لأن الحق في جلال قدسه أرفع من أن ينتفع بشيء أو يحتاج لشيء، كما هو أرفع من أن يخلق

شيئاً عبثاً، فإنه لا يليق لشأن عزته ورفعة جلاله، ولكن قد تنطمس من القلوب بصائر البصائر، فلا تصل إلى إدراك الحقائق في الوجود، ولا تقف على أسرار حِكَمِها، وتارة يتدلى عليها غشاء النفس فلا ترى من وراء الحجاب إلا ظلالاً، سبحان الله غفل عن أحكام الحكمة من غفل، والآخر وعى ما وعى وعقل ما عقل، والكلُّ منطوٍ في ذلك المهد يبذل لإنقاذ منشور حكم حكمته الجهد، عرف من عرف، جهل من جهل، يقظ من يقظ، غفل من غفل، كلٌّ على الحكمة سائر والأمر لله في الأول والآخر.

٢٢- هَذَا لِسُلْطَانِ اقْتِدَارِكَ رَاكِعٌ خَوْفاً وَهذا لِلسَّكينَةِ سَاجِدُ

٢٣- والْغِرُّ عَنْ شُكْرِ امْتِنَانِكَ غَافِلٌ وَأَخُو الْقَبُولِ عَلَى عَطَائِكَ حَامِدُ

لمعت آثار قدرته على من شاء فوقف خاشعاً وخر راكعاً، وسبح مقدساً وقدس مسبحاً، وقَرَّبَ من شاء في معالم الإجلاء وعوالم الاصطفاء، خلع عليه خِلَعَ حبه ففضله، وتفضل عليه بقربه فسكن وتمكن، ومنح السكينة وأعطي الطمأنينة، والثالث مُنح ما مُنح وفُتح عليه من الخير ما فُتح، فاغترَّ وما شكر وكفر النعمة ونكر، فكان مغبوناً مغروراً وعمله عليه منكوراً، ولو حُفَّ بالقبول لحمد شاكراً وشكر حامداً، وأعطي على ما جاءه فوائداً ونال رِفْداً زائداً، لكن ما أريد له فلاقى عمله وألقاه ونكله، صَدَّ من قبل من صد، وأبعد

عن الحضرة من أبعد، وقبل من قبل وتودد لمن تودد، وهذا أمده نعيماً وملكاً كبيراً، وذاك قطعه فأصلاه ناراً سعيراً، الله الله ما هذا؟

٢٤- وَلِذَاكَ عَنْ صَدِّ عَذابٌ دَائِمٌ وِلِذَاكَ عَنْ مَدَدٍ نَعِيمٌ خَالِدُ

٢٥- حِكَمٌ تَحَارُ لَهَا العُقُولُ يُفَتُّ مِنْ قَهّارِ وَارِدِهَا الثَّقِيل جَلامِدُ

٢٦- سَرْبَلْتَهَا بِإِرَادَةٍ جُزْئِيَّةٍ حَتَّى يُرَدَّ بِهَا إِلَيْكَ الشَّارِدُ

٢٧- فَلِبَأْسِ طَوْلِكَ بِالْجَلَالِ زَلَازِلٌ وَلِفَيْض بِرِّكَ بِالجمِيل عَوائِدُ

٢٨- عَجْزُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَ قُدْسِكَ ظَاهِرُ وَخِلافُ هَذَا الشَّرْطِ بَيْعٌ فَاسِدُ

يا من أغرقت الكل في بحار نعمك حار الكل في أسرار حكمك، حارت العقول دونها وتاهت الأفكار عندها، وحُقّ لها أن تتيه وأن تحار، دون تيار هذه الأسرار أسرار، تفت لها الأحجار، فكيف بالقلوب التي يلمع لها ما وراء الغيوب، تصرف حكم حكمتك ما تصرف، وصرف خطار الخواطر إلى ما صرف، وأرخى فوق ذلك الحكم النافذ والقضاء الغالب، ودون الجلائل من تلك المنائح وهاتيك الكرائم من المواهب، سجفَ الإرادة، فيا ويل من كذب القصد وهنيئاً لمن صدق الإرادة، جزيئة ولكن لها حبس الحبائب وأوقف الرائد، فشرد الكاذب، ورد الشارد، فالعوذ العوذ من حتفك، واللجاء اللجاء إلى حصن حصين كرمك ومنتك، أيادي برك بيض ولها بالجميل عوائد، ونحن الضعاف ولنا بتلك العوائد عوائد، نحن العجزة و العجز دون قدس ذاتك

ظاهر، وهذي طيور العقول تغرد على أشجار الوجود بأنك قادر، قامت جهلة النفوس على دعاويها ورأت حسنها في مساويها، ونادت بأن لها وجوداً حقاً وفعلاً فاعلاً، وكأنها تروم بقدرتها تنزل عالياً وتعلي سافلاً، فكذبها شاهد التفرد وشواهد التوحد في مشاهد الغيب والشهادة، وكذبها حدسها في في باطلها، وتقاعست عما فيه نوال طائلها، وفارقت مفارقها، خلع السعادة والعارف بحذفه في معرفة فرقه نظر نظرة المتأمل، وتأمل تأمل المستذهل، فعرف لا تقابَلُ تلك القدرة بغير العجز، وبغير النقد الخالص لا يباع القز ولا يشترى البز، فبذل ما عنده ووصل قصده وأنفذ الحاكم البيع فكان صحيحاً لا باطلاً، ونافذاً لا فاسداً وأخذ واستلم وسَلِمَ إذا استسلم وغنم ولا مغرم ورجع شاكراً حامداً.

٢٩- إِنْ كَانَ نُطْقٌ أَنْتَ فَاتِقُ رَتْقِهِ أَوْ كَانَ سَيْرٌ أَنْتَ فِيهِ مُسَاعِدُ

٣٠- لَوْلَاكَ مَا احْتَرَكَ اللِّسانُ بِكِنِّهِ مِنْ بارِزٍ أَوْ زَنْدُهُ وَالسّاعِدُ

٣١- أَبَداً إِلَيْكَ رَعيلُ خَلْقِكَ رَاجِعُ وَلِقَهْرِ حُكْمِكَ كُلُّ شَيْءٍ عَائِدُ

نطق الناطقون وبك نطقوا ما نطقوا، وسار السائرون وبعنايتك في تلك المهامه خرقوا ما خرقوا، ورمى الرامون وبك رشقوا ما رشقوا، وسبق السابقون وبك سبقوا إلى ما سبقوا، يا سبحانك من ذا سواك يفتق رتق ما رتق،

ويرتق فتق ما رتق، من ذا سواك يقعد بالساري ويسري به ،ومن ذا سواك يسري بالقاعد ويقعد به ،سبحانك واللهِ رعيل خلقك إليك راجع، والعارف كله لتسبيح ذاتك وتقديس أسمائك مسامع، وكل شيء لقهر حكمك عائد، وكل ما في الوجود لذلك مشاهد وعليه شواهد.

وصدى العوالم كله لجلاله تسبيحُ قدس منه حار العارفُ
وشؤونها والله ذلٌّ ظاهرٌ قهر يهب نسيمه والعاصفُ
والعارف المسكين سمع كله بصر يحيط وبالإحاطة خائف

٣٢- تَتَزَاحَمُ الرُّكْبَانُ تَدْفَعُ بَعْضَهَا وَلَدٌ إِلَيْكَ عَلَى الطَّرِيقِ وَوَالِدُ
٣٣- فَرَسُ الشُّجاع وَذَاتُهُ وَحُسامُهُ وَخِصَامُهُ نَحْوَ الْفَنَاءِ تُطَارِدُ
٣٤- ذَهَبَ الْمُنَجِّمُ مَا حَمَاهُ مِنَ الْفَنَا مَرِّيخُهُ كَحِسَابِهِ وَعُطَارِدُ
٣٥- الفِعْلُ فِعْلُكَ وَالجَهولُ مَعَ الهَوى وَالرَّأي يَحْكُمُ فيهِما وَيُعَانِدُ

هذي الخلائق كلها إكليلها متدافعون إلى المقام الأقدس
متباذلون بنيل ما يرجونه درر القلوب وعالي تلك الأنفس

نعم المطايا الأنفس والراكبون الكمل
راموا الوصول فنولوا لوقوا ولما ينزلوا

كل وحقك جالس على البساط الممدود
كل وحقك سائر إلى المقام المعهود
متزاحمون على السرى من والد ومولود
متاطيرون إلى الفنا من فارس ومن فرس
والكل قارٍ ما قرا من قبل ذا وما درس
وباله ليس له إلا تبارك أو عبس
أين الجياد الصافنات والجيدون الصفن
رأوا الدُّنا وحالها ففكروا أو صفنوا
قساور ولبد أم غنم وعهن
لا فرس ولا حسام ولا خصيم أو خصام
هذا خيال باطل أو قل كُلام لا كَلام
قال المنجم :احسبن قال اللبيب له :احسب
فكان من حسابه أن عقله عقل صبي
مريخ مع عطارد إلى الفنا يطارد
فيا خناء عابد يعبد ذاك العابد
يظن يدري بالسرى والظن ظن فاسد

الأمر غير ما درى قد عقد المعاقد

ولم يكن من واحد إلا الخبير الواحد

٣٢- تَتَزَاحَمُ الرُّكْبَانُ تَدْفَعُ بَعْضَهَا وَلَدٌ إِلَيْكَ عَلَى الطَّرِيقِ وَوَالِدُ

هل من ملجأ للخلق سواه فإليه يلجؤون؟ وهل من مستند إليهم إلا هو فإليه يستندون؟ ليس المستند إلا إلى عزة جلاله، ولا المستمد إلا من سوابغ إفضاله، هو المبدي وإلى ما بدأهم منه لهم يعيد، وهو المعيد ولأعمالهم سائق وشهيد فالكل بسوائق سوابق الغيب منساقون، وعلى ما قدموه من العمل قادمون، يتواردون إلى الباب ركباناً ولكن مطايا نفوسهم، ويتسابقون إلى ذلك الجناب بحزنهم وبؤسهم، لا يؤثر الوالد فيه الولد وهل يؤثر بالواحد الأحد أحد؟ ما يغني الوالد إن لم يكن معك ربك؟ وإن كان معك فالعدو حبك والعداة حزبك، وما ينفع الولد من ولد والدهر كله يوم، وما أدراك ما ذلك اليوم؟ يفر المرء فيه من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذً شأن يغنيه فالملجأ الله ولا سواه.

٣٤- ذَهَبَ الْمُنَجِّمُ مَا حَمَاهُ مِنَ الْفَنَا مَرِّيخُهُ كَحِسَابِهِ وَعُطَارِدُ

من المنجم بنجمه؟ ذهب المسكين بسهمه، وما فرح بقسمه، قام يستجلي وجوه الأقدار من وراء الأستار، فلطمه على وجهه من الذي خبأ المغيبات

لاطمه، فهلك ولم تلطم عليه اللواطم، وختم على قلبه مَن الذي يخرج يخرج الخبء في السموات خاتمه، وتجهل الخواتيم والخواتم، فطاش باغتراره حتى وقع في ناره، فإذا هي هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية، لم يقِ النجم نفسه فيقيه، ولم يعِ غيبه فيعيه، جاءه حسابه بما ليس في حسابه، فقطع لأسبابه وأخذ عطارد به إلى الفناء يطارد، وقام عليه في محكمة الألوهة شاهد، والمريخ صدقه في نحسه الأكبر وكذبه في سعده الأصغر،وقال له : إن لم تكن من الكبرا فكن من إحدى الكبر ، عبرة لمن اعتبر، وآية تشهد سلطان القدر، فذهب معه لفناه، ولم تنفعه أمهاته السفليات ولا أباه.

٣٣- فَرَسُ الشُّجاع وَذَاتُهُ وَحُسامُهُ وَخِصَامُهُ نَحْوَ الْفَنَاءِ تُطَارِدُ

غلت في الدم غالية، وهاجت في الدماغ هائجة، فأخذ يجلجل ويرعد ويعزم ويقصد ليقتل ويقاتل وينزل وينازل، وليسقين خصمه كأس منية ولا يبقين له في الدنيا أمنية وهوعرف سائر إلى العالم بفرسه وحسامه وليطوين طي العدم بخصامه، لا تبقي لها في تلك الدار الفانية غير بقية زَرَعَها أو حسنة أودعها، ولا تكلؤه كالئة غير دعوة شفعها أو عناية أشفعها، فأين ما أخذ إليه مما أخذ له؟ وأين يعرف ولو جهد اطرده أم خذله؟ كم مرة يلقي نفسه لحتفه على رغم أنفه، وهو يزعم ليأخذ أزمة السعادة بيديه وتفرغ دلاء العناية عليه، والأمر

عكس ما تصور فجاء ليس كما تفكر، والآخر على حزن لبسه ويائس ألبسه، فقطع الأمل والأماني، وظن بعدُ لا فرح ولا تهاني، فجاءت سحابة أمطرت ما شاء الله أن تمطر حتى نهلت وعلَّت وقيل :ليتها ولت ولم تعصر،

يا أيها القائظ هل تدري لأين المصير
أمور تحير اللبيب أمور تتيه البصير
دار الفناء تظنها داراً بها يحلو المقام
كلا فذلك عندنا والله من لغو الكلام
فانهض إلى الأخرى ولا يغررك ذاك الابتسام

هذا الشجاع على شجاعته جرع جرعة الفنا، والغني على غناه ما وقته الثروة والفنا، والطبيب بطبه صار عدماً، والعالم بعلمه صار كلمة، أسبقها كلما، فالسباق السباق واللحاق اللحاق، وإلا نازلة تنزل ولا خبر، فتمحق العين والأثر.

الفصل الرابع حكمة الله في الخلق

٣٥- الفِعْلُ فِعْلُكَ وَالجَهولُ مَعَ الهَوى وَالرَّأي يَحْكُمُ فيهِما وَيُعَانِدُ

رأت النفوس الحادثات وإنها يوماً تقوم وآخراً هي تقعُد
ورأت بها حلت أموراً عقدت قبلاً وعنها بعض أمر يعقد
فتوهمت والوهم غالب عقلها فأتى الهوى من خلفه يتجند
فمضى كلا العاتين ينفذ ما رأى والعقل ينصح ما الهدايَةُ يرشد
فالنفس غالبها الهوى وهوى الهوى معها إلى نار بها تتوقد
وأخو الهداية ناءَ عن سنن الردى وأتى بثاقب فكره يسترشد
وأجال جائل عقله في ربه فرآه فوق الحدس رباً يعبد
ورأى بأن الأمر أجمعه له ما للسوى رأي بذاك ولا يد
فأتته من مولاه رحمته التي عنها المواهب والمكارم تشهد
وكفاه كلَّ الحادثات وشرها فلآدم إبليس قدماً يطرد
الله يعلم أنني أنا شاهد بجلاله وموحد وموحَّد

٣٦- أَرْضٌ بِهَا صَارَ الدِّيَارُ بَلاقِعاً وَقْتَاً وَقَبْلُ بِهَا الجُنُودُ حَواشِدُ

٣٧- وَبِقِيعَةٍ مِنْهَا المَنَافِعُ قَدْ جَرَتْ حِيناً وآخِرُ مَا احْتَوَتْهُ مَفَاسِدُ

٣٨- وَرَقِيقُ وَشْيٍ بِيعَ يَوْماً غَالِياً وبُعَيْدَ حِينٍ فَهُوَ بَخْسٌ كاسِدُ

٣٩- واللَّيْلُ آناً والنَّهَارُ وَراءَه هَذَا لِذَاكَ مُخَالِفٌ وَمُضَادِدُ

٤٠- لَكَ في اخْتِلافِ الكُلِّ آياتٌ لَها ضِمْنَ الشُّؤُونِ مَصَادِرٌ وَمَوارِدُ

شؤون للإله لقد تبدت بأسماء الجلال ومن صفاته

وآلاء على الأكوان مدت بستر اللطف من هامي هباته

تعالى الله مولانا تعالى تنزه عن حدوثٍ أو سماته

شؤون الحق لا تتناهى، وتجلياته لا تتكرر، وأسماؤه هي المحيطة بكل الكمالات والكمال أرفع من التناهي، والتناهي إن كان ففي المحصورات، والمحصورات أدنى من أن تصل إلى المعاني، أو ما وراء الإشارات، وعلى هذا كان الوجود وتنوعت أشكاله وبرزت أحواله، وصدح بلبله وغنى عندليبه، فاليوم كلمح البصر، أو هو أقرب، واليوم حتى يصير ألف سنة أو خمسين ألف سنة مما تعدون، يا سبحان الله ...ما بين مطلع شمس كل اسم ما بين مطلع شمسه ومغربها يوم، وفي كل يوم آونة، ولله أويقات وفي أُوَيْقَاتِهِ نفحات، ونفحات ربك فيها كل خير ألا فليترقب لها...

ألا فترقب نفحة اللطف إنها وما بها الخير يهمي والعطاء يسلسل

هي في وقت ولا هي ساعة على غفلة يأتي المنى ويواصل

فسبحان ربي كيف في حال ضيقنا وكدنا من البلواء والله نذهل

أتانا من الله الكريم مواهب جلائل فيها اللطف والعطف يهطل
فراحت غموماً عن صدور تشققت من الهم والبلوى وما هو يذهل
وجاءت أياد كالسحاب هواطل وما السحب تحكيها إذا هي تهطل
كذلك شأن الله في خلقه لهم عطاء ومنع ذلة وتدلل
فمنهم بهذا اليوم مقبول حضرة وبعد له طرد وبعداً ينكل
وآخر في حال اضطرار وضجرة ويأتيه يوم بالمعزة يرفل
ويوماً ترى أرضاً كيثرب قدست ومن قبل واد محرق ثم مغول
ويوماً ولا بيت هناك يرى ولا فيأتي مظلة من حر الهجير تظلل
زمان وهي دار مشيدة ملوك عليها قد مضت ثم قُيَّل
ويوماً يكون الماء نتناً وبعدها يروي الظمآن وهو عذب وسلسل
وآخر ريّ ثم تأتيه آنة كريه ثم عفن وموحل
ويوماً لباس مرارا للأكابر بهجة به في رحاب العز تزهو وترفل
فمن بعد أيام يرى ذاك ضحكة ومثلة أو تمثال قوم يمثلوا
يراه الفتى الزاهي برونق عقله فيضحك منه وهو غر وذاهل
وهذي شؤون العالمين جميعها حوادث أو أحدوثات تحكى وتنقل

سبحان الله ! ليس ذلك الأنقلاب والتجلبب كل آونة بجلباب فقط هو شأن الإنسان أو الحيوان، بل هو الوصف اللازم للكيان ولا يتخالف في ذلك اثنان، هذي الأرض تغيب وجه حبيبها (الشمس) الظلمة اه.

فتلبس أثواب الحداد وتجر ذيولها على الروابي والوهاد،

وتسري الوحشة على قفارها وترى مستولية على أشجارها

وأحجارها بل وفي طاووسها وهزارها عند عتمها وأسحارها

فإذا طلعت الشمس زاهية أشرقت، وبرقت على وجهها بوارق الأنس ما برقت، فترى النسيم يقبل الخدود مستحيياً خجلاً، ويرجع منها كموسى ورجع إلى مصر خائفاً مترقباً وجلاً، والطيور تغرد ولله بالوحدانية تفرد، سبحان الله كل هذه آيات باهرات ولله شاهدات بأنه الواحد وحده من شاء قربه ومن شاء صده.

٤٠- لَكَ فِي اخْتِلافِ الكُلِّ آياتٌ لَها ضِمْنَ الشُّؤُونِ مَصَادِرٌ وَمَوارِدُ

٤١- عَنْ سِرِّ حُكْمِكَ قَدْ تَفَرَّعَ كُلُّ ذَا وَعَلَيْهِ جَيْشٌ مِنْ جَلَالِكَ عَاقِدُ

٤٢- ضُرِبَتْ سُرَادِقُ سِتْرِكَ الضَّافِي عَلَى هَذا فَحَارَ أَقَارِبٌ وَأَباعِدُ

وسع الأشياء بعلمه، وغلب عليها بحكمه، فإنه هو العالم بحقائقها والمحيط بأسرارها ودقائقها، وله الملك عليها، فلا يسأل عما يفعل وفعل ما شاء أن يفعل

وفي فعله عدل، ربط الأحكام بالحكم، كما أهطل من سحائب المواهب هواطل النعم، وأخفى الحكمة عن الألباب، وإن دمجها في أم الكتاب، وهي ما سرت في الكائنات، تكتب بحروف عاليات، فهي النقطة المتوحدة وبالإحاطة متفردة، سرت في العوالم فكانت خطوطاً وأشكالاً وملأت قلوب العالمين والعارفين حيرة وإشكالاً، أدهشت الألباب كلمة كلمة، وملأت القلوب جلالة وعظمة فكانت جيشاً يقام له ويقعد وعليه لواء من الجلالة يعقد، سبحان الله كل هذا الخميس بأخماسه تحت السرادقات الممدودة والألوية المحمودة، طغى عليه ذيل السر ما طغى فاندرج في عالم ظلمات الخفا فهو الذي سهامه ترمى وتسمى سهام القدر والقضا، وهي كسيف الشريعة لا يقابل إلا بالانقياد والرضى، تئن النفوس صغارها وكبارها حتى تبلغ الروح الحناجر، وتدهش العقول حقيرها وكبارها حتى يغيب عنها الحاجز وتجول العيون حتى يكل منها الناظر، وتنصت الأسماع ولا تسمع بغائر في تلك المحاجر كل ذلك ولا تفهم من ذلك الطلسم حرفاً ولا تجد لذلك الأسم المضمر حرفاً.

الفصل الخامس الحقيقة المحمدية

٤٣- مَا فَكَّ طِلْسِمَ سِرِّ حُكْمِكَ فِي الْوَرَى إلا محمَّدُك الشكورُ الحامدُ

٤٤- رَفَعَ الشِّراعَ عَنِ الشُّمُوسِ فَأَشْرَقَت وتبدتِ الألوانُ فهي فرائدُ

غيب تطيلس بردة الآزال وثوى سماء القدس والإجلال

وربي له تمق العيون فلا يُرَى سر تعالى عن ظهور ظلال

لا يلحظنّه سوى العوارج نحوه فوق البراق خصيصة المتعالي

تلك النفوس الطاهرات تقدست فأبت تقام بعالم الأمثال

فأتى لها سر المحبة يجتلي سناءَها في حالك الأحوال

ومضى بها حتى أتى المعمورَمن كون العلا ومنازل الأقيال

فرأى بها المعنى المطلسم تجتلي أسراره بحروفه بالحال

ورأوا بها ما السر غير ذواتهم ذات العلوم وفعلة الفعال

هاموا وقاموا واجتلوا وتجولوا ساحاتها بالحط والترحال

وبدا لهم سر القضاء وغيبه وظهوره بالعين والتمثال

وهمُ همُ سر المحامد والثنا سبع المثاني آية الإكمال

لمعت سواطع نورهم وبدت على أفق السما شمساً بشكل هلال

وهم محمد أحمد المختار من أسماؤه الحسنى كتاب كمال

سبحان الله يا للشموس، شموس الحقائق تسبح في أفلاك المعاني، سفن غيب وعليها شراع الخفاء قد أسدل، والبحر بحر ظلمات، فمدت تلك اليد البيضاء وأزاحت عن وجه الحقائق برقعها المسدل، فظهرت المراتب وتعينت المنازل، وبدت الشؤون في الوجود وقامت النسب، وتعينت الحقائق وتميزت المراتب، وقد سرى المدد المحمدي ولمع البارق الأحمدي، وأفاض الفياض، وفتح الفتاح، ووهب الوهاب، وجاد الجواد، وتواصل الإمداد ودقت طبول الإسعاد، وعم الخير وشمل الفضل وتمت النعمة، وأصبح صباح الهدى وغاب ليل الردى، وزال غلسه، ويا سبحان ربي ما زال التاريخ يرسم على صحف الخيال تلك المعاني التي مرتها العوالم في الليالي الحوالك وطمها الجهل وسال عليها سيل الاغتيال والظلم، جاء فصار الزمان نهاراً وكان ليلاً، وهمت سحائب الكرم فكان العالم عدلاً وفضلاً، ولهج الخطباء فكان القول فصلاً والبرهان أصلاً، والخير وصلاً وليس الأمر كذلك قبيل بزوغ شمسه في ضواحي الأرض ورباها، وما كان ... كان الشر غالباً والشرك لازباً والجهل فاشياً والعقل غائباً والدماء تسيل سيلاً والموؤودة تغال غيلاً، فجزاه الله عنا فضلاً، ووصل لنا به الحبال وصلاً

٤٥- لَهِجَتْ بِهَا شُعَراءُ حُبْكَ فَانْجَلى عَنْهُمْ هُنَاكَ نَشَائِدٌ وَقَصَائِدُ

٤٦- هَامُوا بِسَيِّدِ حِزْبِ مَنْ أَرْسَلْتَهُمْ فَالْكُلُّ مِنْهُمْ هائِمٌ مُتَواجِدُ

٤٧- كُلٌّ هُوَ الْغُصْنُ الرَّطِيبُ بِحُبِّ مَنْ يهْوَى عَلَى هَبِّ النَّسائِم مائِدُ

٤٨- بَشَرٌ تَأَلَّقَ في سَمواتِ الْعُلى شَمْسَاً لَدَيْهَا الْمُرْسَلُونَ فَرَاقِدُ

سبحان الله إن النفوس العالية في معارجها عن دركات أجسامها وإحساسها إلى أفلاك الأرواح والمعاني، تحس ولا بد بذلك الجمال المفرد والكمال المطلق والجلالة العظمى التي تندهش لها بل لبعض بعضها العقول وتحار الألباب، فإذا احست بذلك المعنى، ووقفت على الرقيقة المندمجة في ذلك المبنى، أخذت منها عنها، وغُيِّبَتْ في ذلك المضمر البارز، واندمجت في تلك اللطيفة المرقرقة، فلا تفيق إلا وهي صحيفة ارتسمت فيها من كمالاتها سورة تقرأ أو آية تتلى أو كلمة تحفظ، وأخذت تسمع النفوس مما سمعت وتقرأ عليها ما قرأت، فأحست النفوس المقدسة من أين وردت، ووعت من أي طريق وصلت، وفهمت الرمز وحلت اللغز، وما كذلك سواها يمر عليها لسان أعجمي لا يفهم لها معنى ولا ينقش منها على الخاطر صدى.

بسم ربي هذه المعاني المنزلة والصور المتدلية، تنبجس بالقوة الفعالة القوالة الجوالة، قوة روح القدس، وتنفث على عالم القلب، فلا تزال تمر على عوالمه

وتتلو بكل عالم كتابه الواعي لأحكامه وحكمه، وتقوم قومة الروح الفعال والخطاب الجوال، وتبرز ما لديها من الخبر، أطيب الحديث وأصدق الاثر، وبهجة من نظم ونثر وقال الغرر ونثر الدرر، ولكن ما كان ذلك ليكون له الحيطة الكافلة والإحاطة الشاملة، ولا ليخرق الحجب المتدلية ولا ليحيز اللطيفة السارية، وهو أنزل من أن يَحكم بل يُحكم، وأقل من أن يَرسم بل يُرسم، وأدنى من أن يَعلم بل يُعلم، غاية ماله انظار تَمِقُ وأرواح تجوب وتخرق، وناطقة لتفتق فترتق، وتقوم لترتق فتفتق، هكذا الحال ولا محال، والقائل منهم بذلك عارف وما قال إلا غراماً ولا أنشد إلا هياماً، فقد شرب من قبل مداماً، مداماً مداماً، شربه فسكر، سكر فغاب، غاب فقال، ومال وجال فيما جال، وإلا فهو العارف بقصر باعه أن يكشف الحقيقة ويجلوها أو يفي شؤونها ويحصرها، هيام وهيام، وغرام وغرام، وكيف لا تميل الرؤوس سكراً، والقلوب شوقاً، وهو سيد من أُرسل، وكأس المحبة له سلسل، صاحب السيادة المطلقة على العالمين، ورب المكانة في النبيين، والخاتم الأتم للمرسلين، والنسخة الجامعة لجوامع الكلم، والنعمة الهاطلة بسحائب الكرم، روح الأرواح وحبيب الفتاح، ومصباح القلوب بل وسراجها الوهاج، وسرها

المرفع عن الاكتتام والإيلاج صلى الله عليه وسلم، فالكل منهم هائمون بِحُبِّه متواجدون لنيل نعمة قربه.

٤٧- كُلٌّ هُوَ الْغُصْنُ الرَّطِيبُ بِحُبِّ مَنْ يهْوَى عَلَى هَبِّ النَّسائِم مائِدُ

٤٨- بَشَرٌ تَأَلَّقَ في سَمواتِ الْعُلى شَمْسَاً لَدَيْهَا الْمُرْسَلُونَ فَرَاقِدُ

أخذ ربك على آدم وذريته الميثاق أنه وحده هو الواحد الخلاق، وأشهدهم على أنفسهم وأقامهم تحت لواء أزكاهم وأنفَسِهم، وعرفهم أنه هو محمد المصطفى ورسوله المجتبى، أقامه في حضرة قدسه وجلوة أنسه، نبي الأنبياء وصفي الأصفياء، القرآن كتابه والأبرار أحبابه، والرسل عنه بعثت رسلاً وبمدده العظيم وجاهه الكريم قربت لما قربت، وميزت بما ميزت وفضلت بما فضلت به بين الملأ، فالشرائع كلها شرائعه وعنه شرعت، والطرائق كلها طرقه ومنه أخذت وبه طرقت، رقائقه الشاملة سارية في الموجودات، ودقائقه غامضة على جميع المخلوقات، هو الروح الأعظم هو السر الأكتم، هو الشمس المنيرة على العالمين وحواليها فراقد النبيين والمرسلين واقفة تستضيء بأنوار هداه معلقة في سماء المجد تلمع على العالمين بسنى سناه، تلقف القلوب الخاشعة بكلماته وحكمه، وتهذبها بأخلاقه الزكية وشيمه، وتعرفها بإفضالاته على الخلق ونعمه، فما من يد بيضاء إلا وهي يده، ولا من نعمة سَحّاء إلا وهي

مدده، أفعجباً أن هامت به أرواح العارفين، وغنت بمديحه ألسنة المادحين، ومالت عليه وَلَهُ القلوب ميل الطيور على الأغصان، وهامت به الأرواح ورقصت به الأشباح، وقد أنزل عليه القرآن، كتاب له حلاوة، وعليه طلاوة، يُعجز البلغاء ويُسكت الفصحاء، ويجلو بنور حكمته الدهماء، ويجلو ببركته العشواء، إن كفر به أهل الغواية فقد آمن به أرباب الهداية، إن أنكره الجاحدون فقد أقره المؤمنون، إن أبغضه المنافقون فقد أحبه الصديقون، إن عابه وعاتبه الحاسدون فقد طهرته المتقون، حزبه حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون.

٤٩- جَحِدَتْهُ أَلْبابٌ طَمَتْهَا ضِلَّةٌ وأُولُو الضَّلالَةِ لِلْكَمالِ جَواحِدُ

٥٠- وَتَأَبَّطُوا شَرًّا عَنِ الحَسَدِ الَّذِي فِيهِمْ وَمَا الشِّرِّيرُ إِلَّا الحَاسِدُ

٥١- شَقَّ القُلُوبَ الجَدْوَلَانِ فَواحِدٌ جَارٍ وآخَرُ لِلْقَطِيعَةِ جامِدُ

٥٢- سِرٌّ بِأَنْمَاطِ الْغُيُوبِ مُحَتَّمٌ مَرْسُومُهُ وَالحَالُ مَعْنىً شَاهِدُ

أي وربي وإن جحدته أرباب الجحود فما هي إلا ألباب طمستها ضلة، وقلوب علتها من الحسد علة، ونفوس خبثت أصلاً ومحتداً، وخبت وخبائبها طال عليها في الغَواية المدى، فسد عنها الباب، وكثف عليها الحجاب، فلا ينفعها التذكر ولا العتاب، ولا يريعها التقريع في الخطاب، نفوس العبيد ليس لها إلا العصا، وأنذَلُ من العبد من كفر بربه وعصى، النفوس طاغية والقلوب

باغية فكيف لا تكون للكمال جواحد، وعلى النعم حواسد، ولكن ما يغني الشرير تأبطه حسده، ولو قتل والده وولده، سيهلك نفسه حين يدخل رمسه ويفقد فلسه ويقطع غرسه ويهدم بناءه وأسه، ولا منجد فينجد، ولا يصدق اليوم فيوحد.

سبحان الله ...إن النفوس الكريمة والقلوب الرحيمة لتتودد للكافر السعادة والهداية، والابتعاد عن طرق الضلال والغواية، وبذلك حرصت الأنبياء على إيمان أتباعهم، وفدوا نفوسهم لهداية أشياعهم، ولكن ما يغني الجد والاجتهاد وقد سبق الطرد والبعاد، والقلوب من قبل شقت جدولان والعالم في أم الكتاب ليس إلا اثنان، رجل قطع وأبعد ومجرى الهداية من قلبه جمد، وآخر أوصل ووصل وبالرضا والرضوان جمل، فجدول قلبه جارٍ بكوثر العناية، وعالم روحه مستضيء بمصباح الهداية، الأمر من الأزل رسم وحكم وأحكم وحتم، وانقضى الأمر فلا شقاق، وما كان ليُسأل الخلاق، وهل تلوح تلك الخفية إلا بحاله، كما لا يبرز المعنى إلا بقالب قاله.

سبحان الله، والله هجع الهاجع وسجع الساجع، وبه بكى الباكي وكان بكاؤه مكاء، وضحك الضاحك وكان ضحكه بكاءً.

٥٣- يَارَبِّ أَيِّدْنَا بِحُبِّ مُحَمَّدٍ الَّذِي هُوَ لِلأَحِبَّةِ قَائِدُ

٥٤- والْطُفْ وَنَبِّهْ بِالحَنَانِ قُلُوبَنَا فَالحَظُّ فِي صُفَفِ الْعلائِقِ رَاقِدُ

٥٥- صَحِّحْ بِحُكْمِ الإِتِّبَاعِ لِعَبْدِكَ الْـ ـهَادِي مَنَاهِجَنَا فَفَضْلُكَ زَائِدُ

٥٦- مَوْلَايَ إِنِّي قَدْ قَصَدْتُكَ دَاعِياً مَا خَابَ مِنْكَ جَمِيلُ ظَنٍّ قَاصِدُ

لا يفتح الباب إلى ذلك الجناب، ولا توصل الأسباب إلى تلك الرحاب، إلا بعد التعلق بذيل هذا النبي الكريم، والتوسل بجاهه العظيم، والانتهاج لصراطه المستقيم، والاتباع لدينه القويم والارتباط بحبله المتين، والانتماط بنمط حاله المكين، وذلك إنما ينال وتنال منه الآمال، بعد صدق المحبة لذاته، والتخلق بأخلاقه الحميدة وصفاته، فالتأييد كل التأييد والتوفيق والتسديد ليس إلا الحب الصادق والولاء، السائق إلى اتباعه، واتباعه في سنته واقتفاؤه في طريقته حتى يلحق بأشياعه ثم يقاد بزمام المحبوبية ويدرج في سرادق المصطفوية، ويسحب عليه ذيل العناية، الخاصة الأزلية، ويقمط بقماط المكنة القلبية، ويبرقع ببُرقع الوحدانية، ويزف إلى عوالم النور، ويزج حتى يشرف على فضاء الظهور الأبلج، فما حفته العناية مسك ونسك فلا يسقط ورفع فلا يهبط، وإلا أهمل فلا ينقط وسقط فلا يلقط، الله الله عند ذلك الحنان، وعناية

الرحمن بتنبيه القلب من الغفلة والنسيان، والقطع من صفف العلائق وإلا وقع في الشبك، والطيران إلى تلك الرقائق حيث لا فلك ولا فلك.

سبحان الله هذا هل من سبيل إليه أو وصول إلا بحبل موصول من جانب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، فما أشرف الاتباع وما أسرف أهل الابتداع، صحت المناهج بحكم المتابعة، فتم الفضل واعوج من اعوج وعليه رج ما رج فأحاطت به الظلمات، ونزلت به النكبات وعمهت الطرقات وفقدت الغايات وساءت النهايات، وفسد الأصل وهل ذلك إلا بجميل ظن العبد بربه، والتوسل له وبسيد حزبه، وهل يخيب من قصد ربه، واقتصد دربه وأمل قربه وصدق حبه، والله عند ظن عبده، والخير كله من عنده، كريم وكرمه شامل، ومفضال وفضله متواصل، اللهم تمم لنا فضلك وأوصل إلينا حبلك، واجعلنا بلا ابتداع من صادقي الاتباع إلى ذلك النبي المتبع والمشفع فيشفع صلى الله عليه وسلم.

٥٧- أَفْرَدْتَنِي فِي الْعَصْرِ عَنْ كَرَم فَهَا قَلْبِي لِغَيْرِكَ إِيْ وَحَقِّكَ زَاهِدُ

٥٨- وَرَفَعْتَ لِي قَدْرِي بِحُبِّ نَبِيِّكَ الْـ ـبَرِّ الرَّحِيم وَمِنْهُ عِنْدِي عَاضِدُ

٥٩- تَجْرِي عَلَيَّ مَدىً أَيَادِي بِرِّهِ وَلَدَيَّ مِنْهُ فَوَائِدٌ وَعَوَائِدُ

سبحان الله...من وحد ربه بالصدق وحده، ومن فرده دون خلقه بالقصد فرده، يزهد في كل زهيد والعالم كله له به كذلك، وما المملوك في جنب المالك؟، وهو يقول هل من مزيد والمأوى له المأوى، والخدم له القلوب والملائك، نعم يزهد وزهده فيما سوى ربه فليس له أمل إلا بربه ولا طمع إلا بشامل كرمه وسوابق لطفه، ولا أمنية إلا بحبه، ولا ابتهاج إلا بقربه، فتراه دائماً على الاتباع والاقتفاء لما جاء به كلام الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، كل شعرة من شعراته تحتها سنة، وكل سنة يكافأ عليها من ربه بألف نعمة منه، في كل وقت من أوقاته، تراه دائماً بفرض من مفروضاته، دائباً على ما عليه دأب نبيه، نادباً إلى ما إليه ندب صفيه، فأحواله كلها أحوال رائقة، وأنفاسه أنفاس صادقة، وشؤونه كلها براهين على صادق حبه المكين، ومقدماته كلها حجج، فها سر العبودة بلج،و هل ذلك إلا الطاعة، ومن أحب ربه اطاعه، ومن أطاعه ما أضاعه، أحب وصدق وتوانى عن الأمر وود

وقصده اشتغال بزيد وعمرو، كلا.. إقبال بقلبه عليه فقبول واستيصال بربه بما لديه إليه فوصول، وعناية بالأمر واهتمام تساوقها عناية من الرب وإنعام، واقتفاء للرسول وحبل متين منه موصول يلحق الفروع بالأصول، وبعده عاطفة ليس معها إهمال وواصلة ليس بعدها قطع ولا انفصال، وجاذبة ترفع بالعبد إلى أعلى منازل الإجلال، ونظرٌ خاص وحب واختصاص وإلحاق بالخواص، تدركه الفتوة بسائق حب النبوة، وتشعل على رأسه قنديل النبوة فترفع قدره وتعليه، وتوصله إلى مقام التدلي وتدليه، يؤيده فلا يبيده، يعينه فلا يهينه، يسنده من الله في كل مزلقة مساند مساند، فلا يقع بهواه ويعضده من عنايته الشاملة بعاضد، يكفيه ما اراده، تمتد له من الله أيد وكلها أيادي، وتند عنه نواد نوادي، تترطب منها المجالس والنوادي، وتعود له وعنه عوائد وتفد إليه، وبه فوائد، فعند ذلك وقد توج بتاج المحبة والاصطفا وعضد بعاضد متين من المصطفى وأومن فلا يخاف غوائل الدهر، ولا عواصف العصر، وطالت واستطالت أيديه فلا تقصر عن أمل، وعمت وغمرت مننه وأياديه فلا يقوى على حمل أثقالها جبل وعطرت بذكره الأنفاس، بل وأزيل به عن العليل الباس ، ونُشر علم إرشاده ودق طبل إمداده وعادت منه العوائد على أهلها وطابت منه معين الفوائد في علها ونهلها،يجلس على كرسي الوراثة

الكبرى ، وتنصب فوق رأسه غاشيتها، وتفوض له خزائن الولاية العظمى، وتقوم بين يديه حاشيتها فهو الواحد في الزمان، والقطب وعليه الدوران ، المشمول بالنظر الخاص في مقام الاختصاص والمشتمل ببردة العبودة والعبودية، في حضرة الألوهية والربوبية ، وهو السالك لأقوم المسالك والناسك والناسك بالمناسك، والآخذ بطريق ابن العواتك إلى حضرة المالك فتنير منه الحوالك وتعمر به المساجد والمهالك، ذلك عبد الله خصه وارتضاه رضى الله عنه ورضى عنا به.

٦٠- لَكَ فِي طَرِيقِ ابْنِ الْعَوَاتِكِ وِاحِدٌ أَبَداً وَإِنِّي الْيَوْمَ ذَاكَ الْوَاحِدُ

أعظم ما يتوسل به العبد إلى ربه، ويتوصل به لنيل أربه، عبودته الصادقة بين يديه، وذِلَّتُهُ له في محاضرته لديه، فإن الحق له الغنى، والعبد ليس له إلا رابطة عبودته، ومن له مطلق الاستغناء هل يوصل إليه إلا بالتعلق بذيل رحمته، والارتباط بجلال ألوهيته، هي والله أشرف الأعراق وأسناها وأبهج الأخلاق وأزكاها، هو الذي به يفتخر العارفون، وتتباهى به المرسلون، وتتعزز به الملائكة المقربون، وما ذلك إلا شرف الاتباع والاندماج في سلك الأَتباع، لذلك النبي المتبع والشافع فيشفع صلى الله عليه وسلم، وبقدر ما يترقى في درجات المتابعة ويتعلى يزج إلى مشاهدة العبودة ويدلى، وأكمل من يتحقق

بذلك الوصف الأعلى ويتخلق بأخلاقه الزكية وشمائله اللطيفة ويتحلَّى، هو الذي يحرز شرف الوراثة النبوية، ويقوم على منصة النيابة المصطفوية، وبقدر ذلك يقرب ما يقرب ويتحبب إليه ما يتحبب، ما استتر عن العيون لشمس ذلك الجمال المحمدي والجلال الأحمدي إلا وأطلع الله على العالَمين الأعلى والأسفل قمراً يستمد من شمس قلبه الأعظم صلى الله عليه وسلم، ويمد من ذلك النور قلوب الخلق أجمع، مؤمنها وكافرها فتعرف ربها، فهو أقرب القلوب لربه في وقته، وهو القائم على الطريقة الأحمدية والسنة السنية، والظاهر بذلك المظهر الأنور، والنائر بذلك النور الأزهر، وهو القطب الذي عليه مدار العوالم، وتقام له في جميع محاضر الأولياء المعالم، يكتب على صحيفة قلبه القرآن وتظهر على جوارحه السنة، وتدفق من لسان الحكمة، وتتم له النيابة العظمى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ويقف موقف الوسيلة، يضع رأسه تحت القدم المحمدي خاضعاً خاشعاً ويشفع فيشفع، ويسأل فيعطى ويدعو فيجيب، كل هذا للسجف المرخاة على وجهه من ظلال صاحب القدم الأتمِّ صلى الله عليه وسلم.

ترى الأولياء لديه واقفين ومن قلبه مستمدين، والعارفين حوله سكوتاً بهتاً، حيارى سكارى من بارق ذلك النور المتدفق من مجمع الأنوار وأصلها ومبدئها

ومنشئها ومرجعها.

سبحان الله ...تعكف عليه القلوب وأكثرها لا يشعر وتستمد منه وتستفيض فَتُمَدُّ، ويفاض عليها ما شاء الله أن يفاض، فتظهر كوامنها في الأزل وتنسدل الحجب المدلاة على بواطن حقائقها فتخرج إلى عالم العيان وتبلج بما كنّت من سعادة وشقاء.

سبحان الله ...هو الخزانة الكبرى أودع فيها حوائج الناس وخبأ فيها كتب استعداداتهم وهبات إمداداتهم.

سبحان الله ...هو الطلسم الذي لا يقرأ، هو الكنز الذي لا يدرى، مَنْ صادقه فقد سعد، ومن عرفه فقد أُيِّد، هو المحبوب الإلهي هو النائب المصطفوي، هو اللسان القويم هو الصراط المستقيم، هو النائر اللامع، هو الزاهر الأزهر، هو السر الأجلى هو الظاهر والأظهر، هو الخافي تحت بردة الغيرة الإلهية فلا يرى، أمدنا الله بمدده ورضي عنه وعنا به.

قال إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام :((أنت في السماء واحد وأنا في الأرض واحد))[1] يشير إلى ذلك المقام الذي خصه الله به بين أنبياء زمانه،

[1] عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (لما ألقى إبراهيم فى النار قال: اللهم إنک فى السماء واحد، وأنا فى الأرض واحد أعبدک) رواه ابن النجار فى تاريخه والديلمى فى مسند الفردوس.
وهو برقم (٧٣٧٤) فى الجامع الصغير ورمز لضعفه.

يستلفت به النظر الخاص إليه، ويستنزل به خصائص إيثاره بربه دون ما سواه، وهكذا قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم– ولكن بلسان الجمع : ((**اللهم آثرنا ولا تؤثر علينا، اللهم إن تغلب هذه العصابة فلن تعبد بعد هذا اليوم**))[1] وهذا من حاله العالي الذي خص به على الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعليهم وسلم، يقول– والهول هول الموقف– : ((**لا أسألك نفسي أسألك أمتي أمتي أمتي**))[2] فإن سأل نفسه أشركها خاصته وأشملها أمته هو الرحمة للعالمين والخاتم للنبيين صلى الله عليه وسلم.

اللهم إني أسألك بأسرار نبيك وصفيك ومولاك ومواليك ووليك عبدك محمد المصطفى من خلقك والمخلوق من زلال رحمتك ولطفك ورفقك، وبحرمة آله الذين طَهَّرتهم تطهيراً وأعطيتهم عندك ملكاً كبيراً، ونوَّرْت بهم القلوب تنويراً، وبأصحابه الذين أقاموا الدين وأشادوه وأيدوه ما شاء الله أن يؤيدوه، فأسالوا دماءهم، وفارقوا أبناءهم، وهجروا آباءهم، كل ذلك ابتغاء مرضاتك واستمناحاً لهباتك، وبحرمة الورثة الكاملين من الأولياء والمقربين

---

[1] الدعاء النبوى ورد فى سنن الترمذى والنسائى ومسند أحمد بلفظ: (اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا) والمعني: اخترنا بعنايتك ورحمتك ولا تؤثر علينا غيرنا، فتعزه وتذلنا، بمعني سؤال الله أن يجعله من الغالبين لا من المغلوبين.

والدعاء الثانى قاله النبى صلي الله عليه وسلم قبل بدء معركة بدر الكبري وورد فى صحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد.

[2] رواه أبو نعيم فى الحلية بسند ضعيف.

الذين أقمت بهم سنن الاتباع وشِدت بهم معالم الاهتداء، وقمت بهم في جميع الشؤون فلم تكلهم إلى الأصدقاء، ولم تشمت بهم العدا، أبررت قسمهم، وأوفرت عندك قسمهم، ورفعت لذكرهم اسمك اسمَهم، وأصفيت مشارعهم عند قيامهم بشريعتك، وقوَّمت طرائقهم عندما سلكوا لطريقتك، وأنرت فنارت حقائقهم، وأصفيت فصفت من الكدورات رقائقهم، وبحرمة صاحب ذلك الخطاب، المتجلبب من الخفاء بجلباب، والقائم وبيديه الكتاب، يدعو الناس إليه ويحثهم عليه، صاحب الزمان، وقطب الدوران الذي أخفيتَ رسمه وأشهرتَ اسمه وانفذتَ حكمه ووسعتَ علمه وأطلعت تِمَّه، ورعيته في أتباعه، وراعيته في أشياعه، ان تخلِّصَ هذا العبد من أوحال هذه الأحوال الهائلة، وتبدله منك بنعمة عاجلة عاجلة، قبل ان يسبح طرفه بل وقبل أن يرتد إليه طرفه، فقد مضت عليه سبع ولا كسنيِّ يوسف أسفاً وحزناً، وأقضت عليه فكاد أن يقضي لهفاً ووهناً، وبلغت منه الروح الحناجر ولا معين ولا ناصر، اللهم لا جار إلا أنت، ولا مستجار إلا رحمتك الواسعة، ولا مستغاث إلا أنت، ولا مغيث إلا حمايتك المانعة، لا عمل فيقدمه، ولا عزم فيقدمه، فالإغاثةَ الإغاثة للمستغيث بنبيك وآله، والعناية العناية للمتمسك بحباله، اللهم بحرمة هذا العارف الذي أسبغت عليه العوارف، وأطلت له منك يداً،

وأوفرت له منك مدداً، وأقمته لك عبداً في بابك، وشرفته بالانتساب لجنابك، وأدليت عليه حجاباً من الخفا، وأوليته ما أوليت أهل الاصطفا، وبحرمة آبائه الطاهرين وجميع الأولياء والصالحين والأنبياء والمرسلين أدرك هذا العبد بفرج من عندك، وداركه بلطفك وودك بحرمة عبدك صلى الله عليه وسلم.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة التحقيق
٥	القصيدة كاملة
١٠	مقدمة الشارح رضي الله عنه
٢١	الفصل الأول في توحيد الذات والصفات ومعرفتها وأدلة ذلك
٤٠	الفصل الثاني في خلق أفعال العباد
٥٢	الفصل الثالث العجز عن درك الإدراك إدراك
٥٩	الفصل الرابع حكمة الله في الخلق
٦٤	الفصل الخامس الحقيقة المحمدية
٧١	الفصل السادس ابتهال ودعاء
٧٣	الفصل السابع التحدث بالنعمة

تم بحمد الله تعالى